روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

17

Looloo
www.dvd4arab.com

لوتس

أسيرة الرمال

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٢٥٩٠٨٤٥٥ ٢٥٨٦١٩٧
فاكس ٢٥٨٧٠٠٣

لـوتـس

فى قلب التاريخ ، تسكن حضارة مصر القديمة .
بكل جمالها وقوتها .
حقائقها وأساطيرها .
نورها ونارها .
من قلب النيل نبعت هذه الحضارة .
كزهرة لوتس عطرة الرائحة .
ندية الملمس .
متألقة الألوان .
وإلى قلب الماضى ، نبحر فى قارب من البردى .
نجوب أجواء زمان ولّى .
مخلفًا آثاره التى لاتزول .
شامخة فى وجه الدهر .
وفى وجوه حَمَلة معاول الهدم والتشويه .
إنها زهور أينعت منذ فجر الوجود .
فتفتحت أوراقها .
وانتشرت أنوارها إلى كل الحضارات الإنسانية الأخرى .
إنها زهور لوتس .
فى قلب مصر .. القديمة .

محمد سليمان

١ـ تجـار..

(أبيدوس) إقليم جنوبى لـه مكانتـه ، أكسبه قربـه من عاصمة المملكة الفرعونية وزنًا واحترامًا ، فالمسافة بينـه وبين (طيبة) هينة ، يقطعها الفرس القوى العادى جنوبًا فى أقل من نصف نهار ..

لكن الاحترام الحقيقى للمكان لم يتأت من هـذه العلاقة المكانيـة المؤقتـة ، وإنمـا أتى عبر النصوص التى حفظتهـا البرديات ، وحملتهـا المتون الجدارية ـ المنحوتـة فى دقـة وأناة ـ على مر السنين الطويلة ..

تقول الأساطير القديمـة : إنـه بعد أن مزق (ست) الملعون سيد الأراضى البور جسد أخيه الطيب القلب ، سيد الخصب والنماء ورمز الحياة (أوزوريـس) ؛ بدوافـع الحقد والغل والعدوان الآثم ، خاف من أن تمارس زوجة أخيه (إيزيس) المرأة المصرية الوفية ؛ حبيبة وزوجة وأمًا ، خاف من أن تمارس قوتها السحرية لإعادته حيًا .. فقرر إمعانًا فى غيه أن يدفن كل قطعة من جسد أخيه فى جزء من الأرض المصرية ..

وبالفعل أتم جريمته النكراء، وانتشرت أجزاء (أوزوريس) الاثنين والأربعين فى هذا المدى الشاسع، وولدت الأقاليم المصرية بهذا العدد ..

اثنان وعشرون إقليمًا جنوبيًا، وعشرون إقليمًا شماليًا ..

وكان أن دفن (ست) رأس (أوزوريس) ـ وهو من أهم مناطق الجسد لدى الفراعنة بعد القلب ـ فى (أبيدوس) ..

طبعًا لم تيئس (إيزيس) وارتحلت وحيدة من مستنقعات الدلتا وأحراشها إلى هجير الجنوب وشمسه المحرقة، حتى نجحت بعد أن عانت الأمرين فى جمع أعضاء (أوزوريس) كلها، ثم كان أن صار (أوزوريس) بعدها ملكًا لعالم الأموات وحارسًا للحياة الأبدية، فأنجبت منه بعد ذلك ابنهما (حورس)؛ الذى جاهد بكل الوسائل الحربية والسياسية، لاسترداد حق والده الضائع، فى عالم لا يرحم ..

القصة معروفة ومنتشرة، ولا يهمنا منها فى هذا السياق إلا الأهمية التى اكتسبتها (أبيدوس) من بريق اسم عشق الناس صاحبه، إذ علمهم الكثير من أمور حياتهم، وكان نجمًا يهدى قلوبهم فى ظلمة الحياة المدلهمة ..

اسم (أوزوريس) ..

* * *

(أبيدوس) .. والشمس فى طريقها نحو منتصف الظهيرة ..

المدينة فى أوج نشاطها وحيويتها .. طرقها مكتظة بالعابرين، وحقولها عامرة بالفلاحين وبالمحاصيل، والسوق يعج بالباعة والمشترين والبضائع ..

على ضفاف النهر الخالد ترسو مراكب الصيد والتجارة، ودروب المعابد مزدحمة بالكهنة والمريدين والقرابين، ودواوين الحكومة حافلة بالموظفين والكتبة الجالسين القرفصاء، ولا يخلو الأمر من بعض الفنانين الذين يمارسون هوايتهم الأبدية فى تخليد النقوش والحضارة على مسلة هنا، أو فوق جدار هناك، أو داخل مقبرة على حافة البر الغربى القريبة ..

(أبيدوس) مثل سائر الأقاليم المصرية تستيقظ مبكرًا، وتنفض الكسل عن قاطنيها، وتبلغ ذروة نشاطها مع حلول الظهيرة، لكنها لا تكتفى بهذا فتتوهج بالحيوية وتضىء بالزينات مع اقتراب عيد (أوزوريس) السنوى الكبير ..

ـ مازلت مفتونًا بحياة المدن يا عزيزى (ونى)!

ثلاثة هياكل آدمية لاتمتد ظلالها لأبعد من ذراع فوق الأرض ، وحصانان يسيران فى بطء على ضفة النهر وقد زينت برذعتان مزركشتان ظهريهما ..

الثلاثة يسيرون فى خطوات متزامنة ، يتقدمهم أبسطهم جسمًا ، جاذبًا خلفه لجام الحصان الأشهب ، وعلى مسافة هينة خلفه تبعه الآخران ، سائرين على جانبى الحصان الأبيض ، وقد أمسك أطولهما وأنحفهما بلجامه ، فى حين أسند الثالث ـ أقصرهم وأضألهم ـ كفيه على الصندوق المستطيل الكبير ، المستقر فوق ظهر الحصان الثانى ؛ بزخارفه الدقيقة الخلابة كأنه تابوت !

الثلاثة يرتدون ملابس متطابقة الشكل واللون ، عباءات من الخيش الفاتح طرزت بخرز ملون فى تشكيلات بديعة ، ولكل عباءة قلنسوة كبيرة فى قمتها تغطى الرأس وتقيه شر حرارة الشمس أو بلل الأمطار المفاجئة .. وقد نجحت كل قلنسوة فى حجب ملامح صاحبها إذ امتدت لتغطى جبهته تقريبًا ..

ندت العبارة عن النحيف الطويل ؛ القابض على لجام الحصان الأبيض القوى ، ذلك الذى لم تنُؤْ عضلاته بحمل

الصندوق الثقيل المصنوع من الخشب والمعدن ، والمطعم بالأصداف والأحجار اللامعة تحت وهج الظهيرة ..

قالها بنبرة منبهرة مجيلاً بصره فى البيوت المبنية من الطمى على ضفاف النهر ، وفى الحقول والمراعى التى تلمع بين جنباتها سنابل القمح وأزهار القطن ، وفى المعبد المتواضع ـ مقارنة بمعابد (طيبة) و(منف) الهائلة ـ القائم على ربوة قريبة ، وفى المسلات والتماثيل ـ التى تمثل أغلبها (أوزوريس) و(حورس) ـ المتناثرة فى أنحاء المدينة ، والتى يراها السائر بوضوح من مسافات عظيمة ..

قال (ونى) الضئيل السائر خلفه ؛ ناظرًا إلى الصندوق الكبير فى حرص كأنه يحرسه ، أو كأنما يخشى أن يقع برغم الحبال التى تثبته فى مكانه جيدًا ، والتى أدت دورها على ما يرام طوال الساعات الماضية :

ـ اخفض من صوتك لئلاً تسمعك (لوكا) !

تحدث فى نبرة خفيضة قدر استطاعته ، وأرسل نظرة مفعمة بالحذر والتساؤل نحو أبسطهم جسمًا ، السائر فى المقدمة ..

ـ أراهن على أنها لاتفكر الآن إلا فى الخطر الذى ندنو منه بشدة ..

ـ أنا أراهن أن لا شىء يشغل بالها الثاكل سواه ..

كانا يتحدثان بلغة غريبة ضاعت معالمهما فى تضاعيف الهمس الخافت ، غير أنها بالتأكيد ليست اللغة التى يتحدثها أبناء النيل ، والتى يدون بها الكهنة والموظفون كلماتهم ورموزهم المصورة على أوراق البردى ..

لكن من يهتم بهذا فى (أبيدوس) التى يفد إليها يوميًا أغراب من كل الأجناس لأغراض شتى ؛ تبدأ من التبادل التجارى ولاتنتهى عند طلب العلم ؟

ـ (خاتى) ؟!

ـ ومن سواه يا (يام) ؟!

هز (يام) كتفيه العاليين ، وقال ماطًا شفتيه الجافتين فى امتعاض :

ـ أنه لمحظوظ بأن يأسروه فى مدينة حضرية عامرة كهذه !

لم يرد (ونى) ، وأرسل نظرة أطول نحو السائر فى المقدمة ؛ موجسًا خيفة مبهمة ، بينما أردف (يام) معاودًا التلفت حوله فى نهم ممتزج بالحسرة :

ـ .. هذا أفضل له قطعًا من رمال الصحراء المحرقة صيفًا ، الباردة كطعنة خنجر شتاءً !

فجأة توقف السائر فى المقدمة عن سيره الهوينى ، وتوقف الحصانات بالتبعية كأنهما قد تلقيا أمرًا خفيًا بأن يفعلا ..

وأدرك (ونى) أن السائر قد سمع بعض ما قالا ، إن لم يكن قد سمعه كله ، وهذا بالتأكيد ما أدركه (يام) بدوره ، ودفعه لابتلاع لسانه وازدراد ريقه برعب جلىّ ..

استدار أبسطهم جسمًا نحوهما فى تؤدة كأنما يلهو بأعصابهما ، وسقطت القلنسوة التى تغطى رأسه وملامحه على ظهره ..

بالأحرى على ظهرها !!

ـ ماذا كنت تقول يا (يام) ؟!

قالتها المرأة بصوت نسائى فيه جشة وحزم ، وبنفس اللغة الغريبة التى تحدث بها الرجلان المرتجفة فرائص أطولهما !

وجهها فيه ملاحة وصرامة ، عظم الوجنتين بارز تغطيه بشرة بيضاء مشربة بالحمرة ، رموش سوداء طويلة تكلل عينين واسعتين ملونتين بلون السماء والبحر ، الشفتان غليظتان مرسومتان بدقة ، والأنف شامخ فى غير استطالة ، والشعر الأجعد مضفر ضفائر كثيرة منسقة فى عناية ..

على الذقن يستقر وشم طابع الحسن ، وفى الرقبة من جهة اليسار آثار واهية لجرح قديم ، والجسم ينم عن فتوة وإقدام ،

والنظرة .. تدل على شخصية طاغية وطبع قيادى متأصل الجذور..

ـ أنا لم .. لم .. أنا ..

حاول (يام) أن ينطق بجملة مفيدة وهو يرتجف ، لكن لسانه لم يطاوعه على القول ..

ـ سمعتك تقول إن الأسر أفضل لـ (خاتى) من العيش بيننا ، أم أن أذنى قد خانتنى ؟!

قالتها بمنتهى الهدوء وهى تضع كفيها حول خصرها ، وعلم (ونى) بحكم الخبرة والعشرة الطويلة مايخفيه هدوؤها هذا خلفه ..

جاهد (يام) لأن ينطق فى محاولة بائسة ، لكنه إذ باء الفشل قال (ونى) مقطبًا ؛ وقد ساءه أن يرى صديقه على هذه الحالة المزرية ، كأنه أعزل يواجه قسورة :

ـ لم يكن يقصد الشر يا (لوكا) .. أنت تعلمين ولعه بالرفاهية وحياة المدن ، وتعلمين أيضًا اندفاعه ولسانه السليط !

رفعت(لوكا) ساعديها وعقدتهما أمام صدرها ، ثم قالت مدارية حنقها خلف قناع جامد :

ـ هذا لايعطيه الحق فى الحيث عن سيده بهذه الطريقة المخجلة !

هز (يام) رأسه بالإيجاب ، وكاد لسانه ينطلق لاهجًا بالاعتذار والاستجداء ، لكن (ونى) سبقه يقول عابسًا :

ـ إنه ابن عمنا قبل أن يكون سيدنا ، ولم يكن يشعرنا أبدًا بأننا عبيده لو تذكرين !

قالت ناظرة إليه فى تحد :

ـ (لوكا) لا تنسى شيئًا أبدًا !

صمت (ونى) للحظة ، قبل أن يقول مرخيًا الحبل الذى كان قد شده :

ـ على أية حال ، (يام) مدين لك باعتذار ..

هز (يام) رأسه الطويل فى قوة ، وقال (للدقة حاول أن يقول) :

ـ نعم .. نعم .. إننى ....

قاطعته مشيحة بوجهها ، ومعيدة القلنسوة لتغطى ضفائرها :

ـ أنا لا أقبل اعتذارات .. ادخره لـ (خاتى) عندما يعود ..

ـ لكنى لم أقصد أن ..

أراد (يام) بعد أن استعاد اتزانه الهش أخيرًا أن يعتذر لها ، لكن تربيتة على كتفه من الخلف جعلته يؤثر الصمت ..

إن (ونى) بحكم الخبرة والعشرة يعلم أن (لوكا) قوية الشكيمة ، صعبة المراس ، عنيدة الطبع .. لكنها فى النهاية تنسى ـ أو تتناسى ـ الإساءة ، فقط إذا جاءت من الأقربين !

ـ والآن بعد أن وصلنا (أبيدوس) ، إلى أين نتجه يا (لوكا) ؟!

سألها (ونى) رافعًا عقيرته من الخلف ، لكنه لم يتلق منها جوابًا كما توقع ، ورآها تترك لجام حصانها الأشهب وتتجه نحو ضفة النهر بالأسفل ، حيث يقف أحد الموظفين متابعًا واحدًا من المقاييس المتناثرة على امتداد النهر من منبعه وحتى المصب ..

ـ من فضلك يا سيدى ..

نطقت بها (لوكا) بلغة مصرية سليمة كأنها إحدى بنات المملكة ، وهى تواصل الاقتراب من الموظف الذى انغرست قدماه فى الطين حتى الركبتين تقريبًا ..

ـ ليس من المفترض أن أحدثك فى وقت العمل يا سيدتى !

قالها الموظف دون حتى أن يعيرها التفاتًا ، فقالت مستسمحة :

ـ إننى غريبة عن هذه المدينة ، وأريد منك أن تدلنى على وجهتى ..

سألها فى غير اهتمام :

ـ وما وجهتك ؟!

قالت ضاغطة على حروف كلماتها لتعطيها الجلال الذى تستحقه :

ـ قصر السيد (مينا ـ آمون) !

نظر إليها أخيرًا نظرة متسائلة ، وسألها مستوضحًا :

ـ السيد (مينا) حاكم الإقليم ؟!

ـ بنفسه !

ـ من أين أنت ؟!

ـ من الغرب ..

ـ من (التحنو) ؟!

ـ بل من (التمحو) ..

قالتها ببسمة جعلت الرجل يعبس محدقًا فيها وفى الحصاتين والرجلين الواقفين على مقربة ، ويبدو أنه لم يشأ أن يضيع من وقته أكثر مما ضاع فقال مشيرًا إلى جهة قريبة :

ـ من هنا ، جهة الشمال الشرقى .. ستجدين قصرًا منيفًا لا تحوى المنطقة سواه على بعد عشرات الأذرع ..

ـ أشكرك يا سيدى ..

قالتها بامتنان واتخذت طريق العودة إلى حصاتها ..

ـ لكن خذى الحذر .. إن السيد (مينا) يمقت الباعة الجائلين كما يمقت (ست) ، وربما أكثر !

سمعته يهتف بها قبل أن تبلغ أربها ، فاستدارت نحوه وقالت دون أن تزول بسمتها ، بل اكتست بمعنى مختلف تمامًا :

ـ أشكرك مرة ثانية يا سيدى ، لكن .. هل نبدو حقًا كباعة جائلين ؟!

★ ★ ★

تعامدت الشمس فى دورانها السماوى اليومى على الحجرة ، فانتشرت أعمدة من أشعتها المنيرة داخلها ، راسمة عددًا من المربعات الضوئية على الأرض ، وناشرة بعضًا من حرارتها الجنوبية بين الجدران الملونة ..

على أطراف أصابعها تسللت المرأة العجوز .. أزاحت الستار الحريرى الأحمر وتوقفت أمام المدخل هنيهة .. صافحت عيناها المحاطتان بالجلد المتغضن ما تعودتا مصافحته كل يوم على مر سنين طويلة من العمل فى القصر .. الأثاث الفاره والنقوش على الجدران ومتعلقات الأميرة المتناثرة فى غير نظام هنا وهناك .. ابتسمت فى أعماقها بحس الأم الذى نما فى داخلها مع الوقت الطويل ، والتفتت ببصرها نحو السرير المريح القابع فى ركن الحجرة القريب لترى ما توقعت أن تراه ..

واتسعت بسمتها الأمومية أكثر ..

بخطوات بطيئة اقتربت من السرير ، وهمست وهى تقرب أصابعها المرتعشة ـ بحكم السن لا أكثر ـ من الجسد الرقيق المسجى فوقه فى استكانة ، والمتنفس بانتظام ينم عن سبات عميق وهادئ :

ـ أميرة (سات) .. أميرة (سات) ..

الجسد الرقيق ما زال ساكنًا ، والمرأة مترددة بين الإقدام وعدمه ، لكنها حسمت أمرها على ما يبدو وبدأت تهز كتف الأميرة النائمة فى خفة ..

ـ أميرة (سات) ..

يبدو أنها سهرت كثيرًا كالمعتاد ، هكذا فكرت المرأة وهى تواصل هز كتفها ..

ـ .. هيا يا أميرة ، لقد توسط (رع) كبد السماء .. والـ ...

.. بترت المرأة بقية عبارتها ، وشهقت فى فزع لحظى عندما وجدت الأميرة تنهض صارخة فى وجهها فجأة :

ـ ماذا تريدين يا (حنوت) ؟!!

.. وانفجرت بعدها ضاحكة فى عبث ، بينما أدركت (حنوت)

أن الأمر لا يعدو أن يكون دعابة أخرى من دعابات الأميرة الصغيرة ، فلم تتمالك نفسها من الابتسام (برغم أنها لامت نفسها سرًا على وقوعها فى فخ ؛ أوقعتها فيه الأميرة من قبل مرارًا !)

ـ .. هاهاها .. ألا تتعلمين من أخطائك أبدًا يا (حنوت) ؟!

حدقت فيها (حنوت) فى حنان ، وقالت واضعة كفًا فوق أخرى :

ـ لقد كبرت على التعلم كما ترين يا أميرتى ..

غمزتها (سات) وهى تهتف فى مرح عذب :

ـ لا تبخسى نفسك حقها يا امرأة .. مازلت فى ريعان الصبا !

قالت (حنوت) هازة كتفيها ، ومعيدة الحوار إلى مجراه الأصلى :

ـ ظننتك سهرت كالمعتاد لتمارسى واحدة من ألعابك المجنونة !

تثاءبت (سات) فى كسل ، وقالت مادة ذراعيها إلى آخر مدى لهما :

ـ ومن قال إننى لم أفعل ؟! كل ما هنالك أننى مللت من كثرة النوم ..

حدقت (حنوت) فى وجهها الطفولى ذى الملامح الملائكية الرقيقة ، وتعجبت فى داخلها متسائلة :

هل يمكن أن يحب المرء إنسانًا إلى هذا الحد ؛ الذى بلغه حبها لطفلتها هذه ؟!

هل يمكن أن يكون قلب أمها التى سافرت مبكرًا إلى عالم الأموات بعد ولادتها بقليل ؛ قد حل فى صدرها هى ؟!

بل هل كان من الممكن أن تحبها أمها الفعلية الراحلة ـ لو قدر لها أن تعيش ـ بقدر ما تحبها (حنوت) وتخاف عليها ، حبًا خالصًا نقيًا منزهًا عن أى غرض أو مرض ؟!

لا تدرى ..

كل ما تدريه أنها تعشق هذه الطفلة التى لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها بعد دون مبرر .. تعشق شقاوتها وانطلاقها .. وتعشق ملامحها الطفولية .. عينا البقرة (حتحور) ، وفم الهر (باستت) ، وأنف (ماعت) الدقيق ، وشعر (إيزيس) الأسود الطويل ..

إنها تحبها وتخشى عليها من الحاضر والمستقبل كما لو كانت ابنتها هى ..

كما لو كانت هى التى قد حملت بها الشهور التسعة ؛ وأتت بها إلى هذه الدنيا ؛ حلمًا جميلاً لاتريد أن تفيق منه أبدًا ..

هل لأنها حرمت من الأطفال ، وكان هذا ما فرق بينها وبين زوجها الهارب منها ؟!

ربما نعم ، وربما لا ...

ـ جيد ، هذا سيختصر أمامنا بعضًا من الوقت ..

قالتها (حنوت) فى تؤدة ، وأردفت عندما رمقتها (سات) بنظرة تساؤل :

ـ .. الفنان (توت) ينتظرك منذ مطلع الفجر فى مرسمه الخاص بالقصر ، لينهى بعض تفاصيل تمثالك الجرانيتى ..

هتفت (سات) فى استياء :

ـ ثانية ؟!

قالت (حنوت) فى لهجة تقريرية :

ـ لم تذهبى إلى المرسم منذ ما يقرب من الأيام السبعة !

فى ضجر صاحت (سات) :

ـ ولا أريد الذهاب إلى هناك مطلقًا .. لقد مللت هذا الشخص اللزج وتمثاله الذى لم ينته للآن ، برغم أنه يعمل عليه منذ أكثر من عامين !

ـ لم تبق إلا اللمسات الأخيرة ، إن الصبر هو زاد من يسعى للخلود يا أميرة ..

عاودت (سات) الصياح وهى تشيح بذراعها فى عناد :

ـ مالى أنا والخلود ؟! لست أطمح فى أكثر من أن تمضى أيامى دون أن يقتلنى الملل غيلة يا (حنوت) !

ولمعت عيناها مع إردافها :

ـ .. كم أتوق لأن تمنحنى الحياة بعض الإثارة ، قبل أن تتيبس مفاصل روحى ، وتذبل زهور الحيوية فى بساتينى ..

تركتها (حنوت) تفرغ ما فى داخلها من كبت ، بل وساعدتها سائلة :

ـ ماذا تعنين ببعض الإثارة هذه ؟!

نظرت إليها (سات) نظرة أخافتها ، وهى تجيب :

ـ أعنى أشياء خطيرة .. مخيفة .. مرعبة .. لست أجد لها الأسماء المناسبة !

سألتها (حنوت) غير مخفية انزعاجها هذه المرة :

ـ من أين تأتين بهذه الخواطر الشيطانية ؟!

هزت (سات) كتفيها وقالت فى تسليم :

ـ لا أعرف .. أنا أترجم لك ما أشعر به دون تنميق أو تجميل ..

ـ بعد غد تقام فى أنحاء المدينة أعياد (أوزوريس) ، أعتقد أن فى هذا بعض المرح و التغيير ..

قالت (سات) بضجر :

ـ من يتحدث عن أعياد الأطفال هذه ؟!

ـ أعياد أطفال ؟!

ـ أجل ، أعياد أطفال .. حتى لو كانت الملكة الأم شخصيًا تحضرها !

تنهدت (حنوت) ، ثم قالت فى صبر :

ـ سنتحدث فى هذه الأمور لاحقًا .. يجب أن نلحق الآن بموعد (توت) ..

قطبت (سات) وهتفت فى عناد :

ـ قلت لن أذهب إليه ..

ـ لن يعجب قولك هذا السيد (مينا) ..

لامست (حنوت) بقولها ـ الذى بدا بريئًا ـ الوتر الحساس فى وجدان (سات) ، ولقد كانت تدخر هذه الملامسة الهينة حتى النهاية ..

ـ .. إنه ينتظر أن يرى التمثال مكتملاً عندما يعود من رحلته إلى (طيبة) بعد يومين ! ها هى ملامح (سات) تلين ، وها هى عيناها تواجهان (حنوت) ، وتتحدثان بأبلغ ما يمكن أن يقال ..

ـ ليكن ..

.. وها هى ترفع الراية البيضاء وتنهض متن فوق فراشها أخيرًا ..

ـ .. لم أعتد أن أخيب له ظنًا أبدًا ..

ربتت (حنوت) على ظهرها فى استحسان وهى تقول :

ـ هذه هى فتاتى !

وأخذت تلملم خصلات شعرها المتناثرة فوق ظهرها ، النافرة من أثر النوم ، بينما قالت الأميرة وهى تحاول هضم الأمر بصوت مسموع :

ـ عليه فقط أن يقدر مدى المعاناة التى أكابدها ، من جراء تعاملى مع شخص شنيع من نوعية (توت) !

قالت (حنوت) مغالبة مشاعرها الجارفة :

ـ لا تكونى مبالغة .. إنه ليس بهذه البشاعة التى تدعينها ..

ثم جذبتها من ذراعها لتديرها إلى مواجهتها ، وتابعت منسقة خصلات شعرها من الأمام :

ـ .. اذهبى الآن واغتسلى ، ضعى بعض طلاء الشفاه الأحمر والكحل ، واتبعينى إلى المرسـ ...

قاطعتها (سات) بصيحة خافتة أغمضت على إثرها عينيها ، وضربت جبهتها براحتها ؛ هاتفة كمن تذكرت أمرًا :

ـ أووووه .. لقد نسيت هذا الأمر تمامًا !

ـ أى أمر تقصدين ؟

ـ الكحل !

ـ ماذا عنه ؟!

ـ لقد نفدت القارورة بالأمس ، ونسيت أن أخبرك لتأتى لى ببعض منه من السوق !

سألتها (حنوت) ـ بعد هنيهة من الصمت والتحديق ـ فى شىء من الحزم :

ـ حقًا يا (سات) ؟!

تعرف (سات) متى تناديها مربيتها باسمها مجردًا من الألقاب ، لذا فقد هتفت لتبعد عن عقلها أية أفكار سيئة :

ـ فتشى حاجياتى .. أنا لا أكذب مطلقًا فى هذه الأمور !

قالت (حنوت) لنفسها : إن الأميرة ليست فى حاجة لعذر خائب كهذا حتى تتهرب من موعد المرسم ، وإن خيالها الخصب كان لينسج قصة أفضل من هذه بالتأكيد ، لذا فقد تنهدت قائلة وهى تغالب ضيقها :

ـ لايهم .. سأعيرك قارورتى حتى آتى لك بقارورة جديدة ..

ـ أشكرك يا مربيتى الحبيبة ..

قالتها (سات) فى حبور ثم قبلتها فى وجنتها ، واستدارت مواصلة :

ـ .. سأذهب الآن لأغتسـ ...

استوقفتها (حنوت) وقالت بلهجة امتزجت فيها الصرامة بالعتاب بالأمومة الجارفة :

ـ لا تنسى أبدًا أن تخبرينى بما ينقصك .. لا أحب أن أشعر بأنى مقصرة فى الإتيان بما تحتاجين إليه يا .. يا أميرة !

التفتت إليها (سات) وتبادلا بسمتين مفعمتين بالعواطف ، ولم تدر (سات) بنفسها إلا وهى بين أحضان أمها ..

أو التى لا تعرف فى الدنيا أمًا سواها ..

وهنا ..

انبعث الصخب من الأسفل ..

بالتحديد من جهة بوابة القصر المنيف ..

ـ ما هذا ؟!

سألت (حنوت) وهى تعبس فى توتر ، وقالت (سات) فى تهوين :

ـ لابد أنها مشكلة ما عند البوابة .. نستطيع أن ندنو ونرى بأنفسنا ..

واتجهت من فورها إلى النافذة المطلة على حديقة القصر ، وبوابته الخارجية التى تتوسط السور العالى .. وتبعتها (حنوت) التى أوغر إحساس مبهم مجهول المصدر صدرها .. وبالفعل ..

كانت هناك مشكلة صغيرة عند البوابة ..

ـ هل أنتم مصابون بالصمم ؟ قلت لكم إن الدخول ممنوع بأمر السيد (مينا) نفسه !

صاح بها أحد الحارسين الواقفين أمام البوابة ؛ بالملابس الرسمية التى تعطى مرتديها هيبة رجل أمن ، مشهرًا سن رمحه الطويل فى وجوه ثلاثة هياكل آدمية تتدثر فى ملابس متطابقة الشكل واللون ، يجذبون خلفهم حصانين وصندوقًا كبيرًا يشبه التابوت ..

ـ لسنا نريد السيد (مينا) ..

قالتها (لوكا) ـ التى تقف عند رأس المثلث كالطود ـ باللغة المصرية الدارجة ، ولم يميز الحارسان أنوثتها إلا من صوتها على غلظته ..

ثم إنه غير موجود بالداخل يا صاح .. أليس كذلك ؟

قالها (ونى) وهو يرفع ناظريه للقصر العالى ، ليلمح الأميرة ومربيتها واقفتين عند النافذة المربعة ، وبرغم محاولته لإتقان الحديث بالمصرية ؛ إلا أن لهجته جاءت مخلوطة ببعض الشوائب الغربية الغريبة ..

ليس فى القبيلة كلها من يتقن اللغة المصرية مثل (لوكا) ، وهذه إحدى المزايا التى وفرتها لها نشأتها فى دروب (طيبة) ؛ هكذا فكر (يام) الذى لم يكن يفقه حرفًا من لغة غير لغته الأم !

قال الحارس الثانى وهو يهز قناة رمحه فى قبضته :

ـ بلى ، هو غير موجود .. لكن أوامره نافذة فى حضوره وغيابه ..

وصاح الأول فيهم زاجرًا :

ـ هيا .. ابتعدوا عن هنا لتقوا أنفسكم متاعب لا قبل لكم بها ..

ـ إنهم باعة جائلون يا (حنوت) !

هتفت بها (سات) فى جذل وهى تصفق بيديها فى وقفتها أمام النافذة ، ملتفتة إلى (حنوت) التى لم يفارق الإحساس المبهم صدرها وهى تقول هازة رأسها بالإيجاب :

ـ أجل .. إن السيد (مينا) يمقتهم كما يمقت (ست) ..

وحدقت فى الثلاثة الواقفين بالأسفل ، ليتعاظم الإحساس فى صدرها وهى تردف :

ـ .. وربما أكثر !!

تجرأت (سات) وقالت مقترحة :

ـ لم لا نسمح لهم بالدخول ؟!

اتسعت عينا (حنوت) وهى تلتفت إليها كالملسوعة صائحة :

ـ ماذا تقولين ؟!!

هزت (سات) كتفيها ، وقالت ببساطة شديدة :

ـ أقول : ماذا سيحدث لو سمحنا لهم بالدخول وقلبنا فيما يحملون من بضائع ؟! إننى فى حاجة لبعض الكحـ ...

قاطعتها (حنوت) فى تهويل وهى تلوح بكفيها المفرودتين :

ـ كفى عن جنونك هذا .. ما كان السيد (مينا) ليوافقك على هذا الهراء أبدًا لو كان هنا !

عقدت (سات) ساعديها أمام صدرها سائلة فى عناد :

ـ ولم ؟!

جفلت (حنوت) للحظة ، ثم قالت أول ما جادت به قريحتها المعطلة :

ـ إنه لايحب أن يُدخِل الغرباء إلى القصر كما تعلمين ..

ـ غير صحيح .. بدليل كل هؤلاء العاملين والموظفين والفناتين والكهنة الذين يدخلون القصر ويغادرونه وقتما شاءوا !

ـ هؤلاء ثقات .. والسيد (مينا) لايمنح ثقته بسهولة إلا لمن يستحقها ..

ـ لماذا يمنعنى إذن من الخروج إلى السوق ، طالما يمنع الباعة من الدخول إلىّ ؟!

ـ تناقشنا فى هذا من قبل أكثر من مرة ..

وتنهدت العجوز ، ثم قالت حارصة على ألا يعيل صبرها :

ـ .. إنه يريد لك الدعة ويعمل جاهدًا على أن يوفر لك أسباب الراحة والرخاء !

رفعت (سات) سبابتها فى وجهها ، وهتفت فى هجوم حاد :

ـ بل قولى إنه يريد أن يسجننى فى أروقة القصر كفراشة اصطادها ولايريد لسواه أن يراها أو حتى يعرف بوجودها .. لقد مللت هذا السجن وقضباته الحريرية ، ولو لم تسمحى لهؤلاء الباعة بالدخول فسأهبط بنفسى لأبتاع بعض الكحل من السوق !

ـ لكن .. يا أميرة .. الـ ...

ـ لا يوجد لكن ...

قالتها (سات) فى لهجة تتجاوز حدود العناد الطفولى التى تعرفها مربيتها جيدًا ، وتابعت معاودة النظر عبر النافذة ، لتطمئن إلى أن الباعة مازالوا هناك ؛ يجادلون الحراس على أمل السماح لهم بالدخول :

ـ .. والاختيار لك !

دق قلب (حنوت) بعنف ، فهى تعرف هذه النظرة المطلة

من عينى طفلتها ـ التى لم تتجاوز الثامنة عشرة بعد ـ جيدًا ، وتعرف أن معناها ليس سوى أنها ستفعل ما تقول ..

خياران كلاهما صعب ، وكلاهما ينبئ بكارثة محققة لو تسرب خبر أى منهما إلى أبيها .. ماذا تفعل حيال مأزق سخيف كهذا ؟!

وكيف لرهبان الحكمة المسنة أن يتثبتوا فى مواجهة جحافل النزق الشاب ؟!

نظرت (حنوت) مجددًا نحو البوابة ، وسمعت الحارس الأول يصيح وقد فاض به الكيل :

ـ كفوا عن إلحاحكم السمج هذا ، واغربوا عن وجهى على الفور !

قالت (لوكا) فى تحد ، دون أن تهتز عضلة واحدة فى وجهها الصارم أسفل القلنسوة :

ـ كفَ أنت عن جعجعتك هذه ، واذهب لتخبر الأميرة (سات) بأننا نحمل لها ما يسرها رؤيته ..

ـ هل رأيت يا (حنوت) ؟ إنهم يريدون رؤيتى أنا بالذات !!

هتفت بها (سات) فى لهفة ، واستدارت إلى مربيتها لتستعطفها وتشد على ساعدها :

ـ .. أرجوك يا (حنوت) .. اسمحى لهم بالدخول من أجلى أنا !

طال صمت (حنوت) ، وأخذ عقلها يضرب أخماسًا فى أسداس بينما الحارس بالأسفل يصيح فى غضب رهيب :

ـ إن لم تعودوا من حيث أتيتم الآن فلن أتوانى عن صرعكم دون أن تأخذنى بكم شفقة ..

وأضاف قول (لوكا) الساخر حطبًا فوق ناره الموقدة :

ـ حاول إن استطعت ..

.. وانفجرت شفتا (حنوت) فى النهاية عن همس خافت ، كأنها تخاطب به نفسها :

ـ ليكن .. دخولهم أفضل من هبوطك للسوق ، وأكثر أمنًا بالتأكيد !

انشرح قلب (سات) ، وهوت بقبلة على خد مربيتها بعد أن هتفت بها فى سعادة غامرة :

ـ أنت أفضل أم فى الدنيا يا (حنوت) !

تلقت (حنوت) عبارتها وقبلتها فى ثبات لم ينم عما جاش فى صدرها من مشاعر متناقضة ، وقبل أن تهتف (سات) بشىء ما من النافذة أسرعت تستوقفها قائلة بنفس الثبات :

ـ عدينى بشىء واحد قبلها يا أميرة ..

سألتها (سات) فى حيرة :

ـ ماذا يا (حنوت) ؟

قالت (حنوت) بعد هنيهة من التردد :

ـ ألا يعرف السيد (مينا) بهذا الأمر مطلقًا ..

وابتلعت ريقها ثم تابعت موضحة :

ـ أنتِ لا تريدين أن يقتلنى عندما يعرف بأننى سمحت لهم بالدخول !

صاحت (سات) :

ـ بالطبع لن أخبره بشىء .. لكن ، ماذا عن الحراس ؟!

هؤلاء أمرهم سهل ..

ونظرت إلى حارسى البوابة مجددًا وهى تكمل :

ـ .. ليس أسهل من إقناع عبد بحجب أمر ما عن سيده !!

رأت كلاهما الحارس الأول وغضبه يخرجه عن رشده ، وبرغم محاولة زميله لإرجاعه عما اعتزم القيام به من تهور ..

ـ لقد حذرتكم ، وسترين الآن أيتها الشجاعة إن كنت أستطيع أم لا ..

ـ كلا يا (حاب) .. انتظر ..

لكن (حاب) اندفع برمحه كثور هائج نحو (لوكا) ، التى لم يطرف لها جفن ؛ حتى أضحى سن الرمح قاب قوسين أو أدنى من صدرها ..

وفى اللحظة الأخيرة تحركت ..

مدت قبضتها فى لمح البصر وأحاطت أصابعها بمقدمة الرمح فى قوة أدهشت الجميع ، وبقوة أكبر ـ أدهشت (حاب) نفسه هذه المرة ـ رفعت الرمح عاليًا ، ليبتعد سنه عن صدرها ، ولينـدفع (حاب) إلى الخلف ساقطًا على ظهره يتأوه من الألم والخزى ..

ـ ما هذا ؟

تمتم بها الحارس الثانى مفغور الفيه ، بينما ألقت (لوكا)

بالرمح إلى جوار صاحبه على الأرض قائلة فى عدم اكتراث :

ـ ليس من التهذيب أبدًا أن تهاجم امرأة عزلاء بهذه الوحشية !

ـ هاى .. أيها الحارسان ..

والتفت الجميع نحو الأميرة التى تهتف من النافذة العلوية :

ـ .. أدخلا هؤلاء الباعة القاعة الكبرى .. سأهبط لهم على الفور ..

تحامل (حاب) على نفسه ليقف ، وقد ساءه ما حدث حتى الموت ، وساءه أكثر أنه قد حدث أمام عينى الأميرة ومربيتها ..

ياللعار والشنار !!

صاح الحارس الثانى ملوحًا برمحه لها :

ـ كما تأمرين يا مولاتى ..

وأشار للثلاثة بسبابته فى تعال ليس له ما يبرره :

ـ اتبعونى ..

وتحاشى صاحبه النظر إليهم ، متظاهرًا بالانشغال فى نفض الغبار عن ملابسه الرسمية المتسخة ، التى ما عادت تعطى مرتديها الهيبة المفترضة فى شخصية رجل الأمن !

تبادل (ونى) و(يام) نظرات متوترة بعض الشىء ، ثم جذبا لجام حصانهما الأبيض ، بينما التمعت فى عينى (لوكا) نظرات لاتحمل إلا معنى واحدًا ، وهى تجذب لجام جوادها الأشهب ..

الظفر ..

ولاشىء سواه ..

هبطت (سات) إلى القاعة فى سرعة كأنها على موعد مع التاسوع ، و(حنوت) خلفها تجاهد للحاق بخطواتها المهرولة ، وعندما وصلتا كان الثلاثة قد دخلوا إلى القاعة ، (لوكا) فى المقدمة كما هو الحال دائمًا ، و(ونى) و(يام) خلفها يجاهدان لحمل الصندوق المزركش الثقيل ، يعاونهما الحارس الثانى بنفسه على إنزاله فى منتصف القاعة الواسعة كصحن (الكرنك) ..

ـ عمت صباحًا يا مولاتى الأميرة ..

قالتها (لوكا) بابتسامة ثلجية وهى ترمق (سات) بتمعن ، وواصلت إذ واجهتها مباشرة :

ـ .. إنك أجمل مما توقعت بكثير !

ـ أشكرك !

فى خجل عذرى ردت (سات) ، ولم ترتح (حنوت) مطلقًا لمنظر المرأة ونظراتها ، ناهيك عن موقفها مع (حاب) ؛ الذى يرسم حولها عشرات من علامات الاستفهام الحائرة ..

ـ هل يحوى هذا الصندوق أشياء ثمينة ؟!

سألت (سات) مشيرة إلى الصندوق الذى استقر أخيرًا فى المنتصف ، وأجابتها (لوكا) بلهجة غامضة :

ـ أثمن مما تتصورين يا مولاتى !

ـ هل تأمر مولاتى بشىء آخر ؟!

سأل الحارس الثانى وهو ينفض كفيه من حمل الصندوق ، وانشغلت (سات) بالنظر إلى الصندوق عن الرد ، فقامت (حنوت) بهذا الدور البسيط نيابة عنها :

ـ تستطيع الاستئذان يا (تاى) ..

ونظرت إلى المرأة بملامحها الحادة وملابسها الغريبة ، ثم استدركت قبل أن يغيب (تاى) تمامًا :

ـ ولكن ابق فى الجوار ، فقد نحتاج إليك لسبب أو لآخر !

ـ متى احتجتم لى فليس عليكم سوى النداء ..

واختفى سريعًا ، بينما (سات) تسأل (لوكا) فى حماسة :

ـ هل أستطيع إلقاء نظرة على ما يحويه الصندوق أيتها السيدة ؟!

أشارت (لوكا) نحوه وهى ترد بمنتهى الأريحية :

ـ على الرحب والسعة بالطبع ..

ثم هتفت برجليها الواقفين بجوار الصندوق الممدد فوق الأرضية :

ـ .. افتحا الصندوق وأريا أميرتنا محتوياته ..

هزا رأسيهما ، ولامست أصابعهما حافة الغطاء العلوى ، فى حين استدارت (لوكا) إلى العجوز (حنوت) الواقفة فى استكانة ، وبين ضلوعها تلهو تماسيح نيلية ، لتقول (لوكا) فى ود أجادت تصنعه :

ـ .. ألا تريدين إلقاء نظرة أنتِ الأخرى أيتها السيدة الفاضلة ؟!

فكرت (حنوت) فى الرفض كحل مثالى ، لكن فضول الأنثى دفعها للقول بأنفة ، وهى تتقدم نحو الصندوق بالفعل :

ـ ولِمَ لا ؟ ليست فكرة سيئة على أية حال !

واقتربت من الصندوق الذى انفتح غطاؤه العلوى ، فأسرعت عينا (سات) المترقبتين تقتحماته ، ليصدمهما فراغ مجوف لا يحوى شيًا !

الصندوق فارغ كمجرى (حابى) فى سنوات عجاف !!

ـ ما هذا ؟ أين الأشياء الثمينة التى تبيعونها ؟!

قطبت (حنوت) ولما تبلغ الصندوق بعد ، وخدش أذنها قول (لوكا) من خلف ظهرها :

ـ الصندوق مصمم ليحوى شيئًا ثمينًا بالفعل ..

سقط قلب (حنوت) فى قدميها وقد بدأ عقلها يستوعب شذرات من الأمر ، بينما استعصى الفهم على عقل (سات) الغض ، حتى و(لوكا) تردف :

وأدركت (حنوت) فى تلك اللحظة الواهية الفاصلة بين الوعى والغيبوبة ، كنه ذلك الشعور المبهم الذى اعتراها منذ رأت الثلاثة ..

ـ .. لكنه لم يحو بعد هذا الشىء الثمين الذى صمم لأجله !

ثم فرقعة أصابع ، و ..

رأت (حنوت) بأم عينيها الرجلين يقفزان ليمسكا بساعدى (سات) ، والذهول عقد لسان الأخيرة ..

كادت تصرخ وتهرع نحو طفلتها ، لكنها شعرت بمن يطوق حركتها من الخلف بحركة ماهرة ، بل ويكمم فاها أيضًا بقطعة من الكتان المغزول ؛ هاتفًا بصوت نسائى فيه جشة وحزم :

ـ إلى أين يا جدتى ؟!

وأدركت (حنوت) فى تلك اللحظة الواهية الفاصلة بين الوعى والغيبوبة ؛ كنه ذلك الشعور المبهم الذى اعتراها منذ رأت الثلاثة ..

أدركته بعد أن فات الأوان ..

وكان آخر مارأته قبل أن تفقد وعيها ، طفلتها (سات) وأحد الرجلين يكبل حركتها ، بينما الآخر يكمم فمها بقطعة كتان أخرى ، والاثنان يتعاونان على دفعها إلى داخل الصندوق الفارغ ، ثم ...

ظلام تام ..

ـ هل أصبح الصندوق أثقل أم هى محض تهيؤات ؟!

سأل (تاى) وهو يعاون الرجلين على وضع الصندوق فوق ظهر الحصان الأبيض ، بعد أن هرع إليهم فور رؤيتهم يغادرون مدخل القصر ..

ـ يبدو أنك أسرفت فى تناول الجعة يا صديقى ..

قالها (ونى) بمصريته ذات اللكنة الغربية فى غبطة ، وهو يقذف بطرف الحبل إلى (يام) ليثبتا الصندوق جيدًا فوق ظهر الحصان .. فهرش (تاى) فى رأسه نصف الأصلع وقال :

ـ إننى لا أتناولها مطلقًا !

كانت (لوكا) قد فكت الحبل المربوط به حصانها الأشهب إلى جذع خشبى ناتئ فى حديقة القصر ، وقفزت فوق ظهره هاتفة بلغتها الأم :

ـ أحدكما سيركب خلفى ، والآخر سيقود الحصان ..

هتف (يام) بنفس اللغة التى لا يجيد سواها :

ـ سأركب أنا خلفك ، فـ (ونى) أبرع منى فى الفروسية !

مطت (لوكا) شفتيها ورمقته فى رثاء ، ثم أدارت عنق الحصان ـ الذى صهل فى حيوية ـ دون أن ترد بكلمة ..

وبينما (يام) يجاهد لامتطاء ظهر الحصان خلفها ؛ قالت هى بالمصرية مخاطبة (تاى) :

ـ نسيت أن أخبرك أيها الطبيب .. الأميرة (سات) تريدك أنت وصاحبك فى القاعة الكبرى .. لقد أوصتنى بأن أخبركما بهذا عندما أخرج وألقاكما !

غمزها (تاى) سائلاً وقد راقه التبسط مع امرأة كهذه إلى هذا الحد :

ـ هل بعت لها الكثير ؟!

ابتسمت وأجابته فى ثبات وغموض :

ـ سلها وستجيبك !

ونظرت نحو (ونى) لتراه مستقرًا فوق ظهر حصانه ، واطمأنت لثبات (يام) فى جلسته خلفها ، ثم هتفت وهى تجذب لجام الحصان الذى علا صهيله أكثر :

ـ .. إلى اللقاء .. ربما نلتقى ثانية ..

وهوت بكعبها على بطن الحصان الذى انطلقت سنابكه تنهب الأرض نهبًا ، وخلفها (ونى) الذى جاهد ليحفظ توازن الصندوق الكبير ؛ فوق ظهر حصانه الأبيض ..

تابعهم (تاى) بعينيه وهم يعبرون بوابة السور العالية ، غير مخف نظرات الإعجاب التى لاحق بها (لوكا) ؛ حتى اختفوا تمامًا خلف حافة السور ..

لكم يهوى هذا الصنف الصخرى الصلد من النساء !

ـ (حاب) ..

رفع عقيرته بالنداء على صديقه الذى جلس متأففًا أمام البوابة ، ينفض ملابسه الرسمية للمرة الثانية بعد أن اتسخت بفعل مثار النقع !

ـ هلم يا رجل ، إن الأميرة تريدنا ..

وانطلقا نحو مدخل القصر ..

أول ما رأياه فور عبورهما مدخل القاعة الكبرى ، كان جسدًا مكومًا فوق الأرض فى منتصف القاعة تمامًا !

هرعا إليه على الفور ، ومن وجهه عرفاه ..

المربية الأولى (حنوت) !

ولا أثر للأميرة !!

حية هى ، تتنفس بانتظام وقلبها يخفق ، لكن ...

تبادلا نظرة خاطفة ، قال بعدها (حاب) فى توتر لم يفلح فى السيطرة عليه :

ـ ربما فقدت وعيها فجأة !

قال (تاى) وصدره يعلو ويهبط :

ـ لا أظن ..

ـ ولم ؟ ربما ذهبت الأميرة لتأتى لها بالنجدة من ...

ـ انظرْ ..

هتف بها (تاى) فى اقتضاب مقاطعًا إياه ، وهو يشير لبقعة ما فوق الأرض ، وعندما نظر (حاب) إلى حيث يشير ابتلع لسانه ، واستبعد هو الآخر ـ على الفور ـ فكرة أن يكون الأمر محض حادث عرضى ..

ونظر كلاهما نظرة طويلة نحو ذلك الشىء المستقر بجوار (حنوت) الفاقدة الوعى ..

بالأحرى ، ذلكما الشيئان المستقران بجوارها !

امتدت يد (تاى) نحو رق ملفوف من البردى ، مسطور فوقه نقوش وطلاسم يجهل معانيها بحكم جهله القراءة والكتابة ، كالسواد الأعظم من البسطاء وأهل الحرف فى مصر الفرعونية ..

أما (حاب) ، فقد مد أصابعه لتمسك بالريشة التى كاد الهواء أن يطيرها ..

ريشة عادية ليس فيها أى شىء مميز ، من الممكن أن يكون أى إنسان قد نتفها من جسم طير ما ؛ لأى غرض كان ..

أو ربما بلا غرض بالمرة !

مجرد ريشة لايحمل وجودها فى أى مكان وأى زمان أى معنى بعيد !

لكن ..

وجودها فى هذا المكان بالذات ، فى هذا الوقت بالذات ، يحمل معان كثيرة جدًا ..

وخطيرة جدًا جدًا !

وهذا ما لم يجهله أى منهما ؛ لحسن الحظ ..

أو لسوئه !!

* * *

٢ ـ تمحو ..

تابعت عيناه الخضراوان الأرنب البرى الصغير ، وهو يقفز من فوق الصخرة العالية ، نحو نبتة تطل وريقاتها اليانعة من بين الصخور الأخرى ..

حبس أنفاسه واستكان فى انبطاحه على الأرض الرملية ..

غبّر التراب لحيته الخفيفة وشعر بمذاقه فى فمه ورائحته فى أنفه ، لكنه مع ذلك حافظ على استكانته قدر جهده ..

كاد يسعل لكنه تماسك ..

تحرك أخيرًا زاحفًا ببطء نحو الأرنب الذى ينعم بوجبة غذائه العشبية ، وقد عقد العزم على ألا يكون الفشل حليفه هذه المرة ..

اقترب واقترب حتى لم يعد فى إمكانه أن يقترب أكثر دون أن يشعر الأرنب بوجوده .. ولما استكان من جديد ، رفع قوسه وسهمه دون أن يرفع جذعه من فوق الأرض .. عملية مؤلمة لكن ليس منها بد حتى لايرتمى ظله ـ بفعل شمس العصر الآفلة ـ أمام الأرنب ، فيفر قبل أن يتم المراد ..

ـ معذرة يا صاحبى فى الحياة ..

تمتم بها وقد أغمض إحدى عينيه ، مثبتًا العين الأخرى على صدر الكائن الضئيل .. وشرع يجذب القوس وطرف السهم رويدًا رويدًا ..

ـ .. لكنها قوانين الحياة !

أتبعها ، ثم أطلق سهمه على الفور نحو الأرنب .. وفزع الأخير قافزًا إلى الخلف بفعل المفاجأة ، عندما طاش السهم وأصاب النبتة التى يتغذى عليها فى مقتل !

بينما صاح الشاب ذو اللحية الخفيفة والعينين الخضراوين مغتاظًا ؛ وهو يعتدل ناهضًا فى سرعة :

ـ اللعنة ، لقد أخطأته ..

.. كان الأرنب يعدو بأقصى ما أوتى من قوة ، تدفعه عضلات قدميه الخلفيتين القويتين وغريزة البقاء لأن يلوذ بالفرار ، قبل أن يصبح وجبة عشاء ..

تبعه الشاب راكضًا بأقصى قوته ، وبرغم يقينه بصعوبة إتمام المراد بعد أن فقد عامل المفاجأة ، إلا أنه تناول سهمًا آخر من الكنانة المستقرة خلف ظهره ، وسارع بتصويبها إلى الأرنب الذى ما برح يعدو ..

ـ عد ، إنك تعبث بقوانين الحياة يا صديقى فى الحياة !

هتف بها قبل أن يتوقف للحظة مطلقًا السهم على هدف متحرك هذه المرة ، ومن جديد طاش السهم وأصاب الصخور الناتئة بين الجبال ، لكن الشاب لم ييئس وانطلق خلف الأرنب راكضًا ؛ لتشهد تلك المنطقة الجبلية أغرب مطاردة من نوعها بين إنسان وحيوان !

ـ فهمت ما ترمى إليه أيها الخبيث !

قالها الشاب وهو يرسل إلى الشق الصخرى الضيق الذى يعدو نحوه الأرنب بسرعته الخارقة ، وقد أدرك أن الأخير يبغى الوصول إلى هناك حيث الأمان التام ، لكنه ـ الشاب ـ ما زال عاقدًا العزم على ألا يفشل ، فالتقط من كنانته سهمًا آخر ، صوبه نحو الأرنب الذى اقترب من مخبئه بشدة ، وهو يتابع :

ـ .. لكنى لن أدعك تفلت منى هذه المرة ..

وتوقف ..

أطلق سهمه الثالث ..

وطاش السهم الثالث بعد أن اتخذ الأرنب مسارًا منحنيًا على سبيل المناورة ..

أطلق الشاب صيحة هزيمة يائسة وهو يهوى على ركبتيه ، ورأى الأرنب يكاد يلج مخبأه الضيق بين الصخور ..

ـ كلا .. ليس فى كل مرة !!

صاح بها فى مرارة ، وبعينين أكلتهما الحسرة تابع الأرنب ، الذى لم يدخل مخبأه أبدًا !

بعينين أكلتهما الدهشة رآه الشاب يخر صريعًا أمام مدخل المخبأ بذراع واحد أو أقل ، بعد أن اخترق سهم صدره ، فى نفس الموقع الذى كان يبغى التصويب إليه منذ لحيظات ..

سهم أتى من هناك ، من فوق ، عند قمة الجبل القريب ..

رفع الشاب عينيه لأعلى .. ورآه واقفًا ..

بثباته واعتداده ، وعضلاته المفتولة وبشرته السمراء وشعره المجعد قوسه فى يده القوية ، وهواء الشرق يلاعب ملابسه ، كأنه بطل أسطورى ..

ـ فعلتها إذن يا (حورى) ..

صاح بها الشاب بنبرات أكلتها الغيرة ، وأردف وهو ينهض نافضًا التراب عن ركبتيه :

ـ .. بسهم واحد !

ـ مازالت الرماية إحدى هواياتى المفضلة يا عزيزى (محب) !

قالها (حورى) بنبرة ثابتة لم تنم عن فخر أو غرور ، وهو يخفض قوسه ويلتفت مواجهًا صديقه من وقفته بالأعلى ..

ـ مهما حاولت فلن أبلغ عشر قدراتك البدنية والقتالية ..

غمغم بها (محب) وهو يخفض ناظريه فى انكسار ؛ فهزّ (حورى) كتفيه وهو يسأله دونما كثير من الاهتمام :

ـ عهدى الطويل بك أنك غير مهتم أبدًا بهذه الأمور !

ـ لطالما ظل هذا عهدى بنفسى أنا الآخر !

تمتم (محب) بها لنفسه بصوت هامس ، مما دعا (حورى) لأن يسأله :

ـ ماذا تقول ؟!

رفع (محب) رأسه إليه وهو يقول متصنعًا المرح :

ـ لا شىء .. أردت تهنئتك بدقة التصويب لا أكثر ..

قال (حورى) هازًّا كتفيه فى لا مبالاة :

ـ مفتاح الرماية هدوء الأعصاب .. لن تستطيع إصابة هدفك إذا اهتزت عضلة واحدة فى جسدك لأى سبب من الأسباب ..

لوح (محب) بكفيه هاتفًا فى مزيد من المرح المصطنع :

ـ لا أملك أعصابًا من الأصل حتى أحافظ على هدوئها يا صديقى !

داعب (حورى) بسبابته وتر القوس ، وهو يقول فى حكمة تتجاوز عمره :

ـ فى داخل كل منا طاقات كامنة ، قد لا تخرج إلا فى وقت حرج ..

قال (محب) مداعبًا :

ـ ذكرنى بأن أدون كلماتك فى بردية تحمل اسمك !

أشاح (حورى) بذراعه وهو يقول ، دون حتى أن يبتسم للدعابة التى سمعها من صديقه مرارًا من قبل :

ـ دعك الآن من هذا الهذر واتبعنى .. لقد أرسلوا يطلبوننا فى معبد (لوتس) ..

سأله (محب) وقد تفجرت ينابيع شتى فى وجدانه :

ـ عمل جديد ؟!

أجابه (حورى) محدقًا فى المجهول :

ـ لا يصعب استنتاج هذا عندما يكون المعلم (تحوت) بنفسه هو من أرسل فى طلبنا ..

صومعة المعلم الأكبر (تحوت) مازالت ـ وستظل ـ مزيجًا غامضًا من الظلمة والبخور ، ووجه المعلم الأكبر (تحوت) مازال ـ وسيظل ـ غارقًا فى صمته المهيب ، مختبئًا خلف اللحية البيضاء الكثيفة والحاجبين الهائلين ..

البرديات المطلسمة متناثرة أمامه لتبوح له وحده بأسرارها الدفينة ، والجذوة النارية المشتعلة على مقربة منه تزيد من رهبة المكان وجلاله ..

زهرتا اللوتس تدلفان فى هدوء لتقفا فى مواجهته ، وباحترام يليق بمكانته العظيمة فى نفسيهما تتحنيان ، ثم تستقيم وقفتهما فى انتظار أن يتكلم هو أولاً ..

ـ أرى أن عملكما معًا قد بدأ يثمر نجاحًا ..

قالها (تحوت) بصوته الجهورى المتنافر مع ملامحه الواهنة دون أن يرفع إليهما ناظرًا ، فهز (حورى) رأسه نصف هزة وهو يقول مؤيدًا :

ـ هذا حق ، معلم (تحوت) ..

وأيده (محب) بنبرة وملامح محايدة :

ـ إننا كلاً منا يكمل الآخر فعلا ، ولكن ...

لم يكمل الاستدراك ، فالتفت إليه (حورى) مقطبًا ، وسأله (تحوت) دون أن يرفع عينيه الضيقتين عن البردية المفرودة فى حجره :

ـ ولكن ماذا ؟!

ازدرد (محب) ريقه فى صعوبة ، واستشعر حرج الموقف لكنه تجاسر متسائلا :

ـ .. ولكن ، حتى متى يستمر هذا الوضع ؟!

لاح التعجب والاستنكار فى عينى (حورى) الذى لم يتوقع هذا القول مطلقًا من (محب) بالذات ، غير أن المعلم (تحوت) لم ير هذا وهو يسأل مجددًا دون أن يحرك ساكنًا :

ـ أى وضع تقصد ؟!

هتف (محب) محاولاً كبح جماح انفعاله :

ـ أقصد هذا الوضع .. أن نعمل معًا تحت شعار التكامل !!

رفع (تحوت) عينيه أخيرًا إليهما ، حدق فى وجهيهما مليًا وهو يتنفس بصوت مسموع ، وتمتم بكلمات لم يسمعاها :

ـ دوام الحال من المحال ، هذا ما جبلتنا عليه الطبيعة ..

ثم إنه قال بلهجة صارمة مخاطبًا (محب) :

ـ .. زهور اللوتس لاتأنف أبدًا من التجاور لتنهل من نبع شمس واحدة ..

قال (محب) مترددًا بين الإقدام والإحجام :

ـ أعلم هذا ، معلم (تحوت) .. لكننى كـ ...

قاطعته لهجة (تحوت) الأحدّ والأشدّ صرامة :

ـ أتعلم ماذا يصيب الزهرة التى تأنف من الوقوف مع زميلتها تحت الشمس ؟!

صمت (محب) ، وسدد بصره نحو قدميه فى خجل ، غير أن المعلم (تحوت) عاد يسأله فى إصرار :

ـ أتعلم ؟!

هز (محب) رأسه أن نعم ، ثم قال بنبرات متآكلة :

ـ أجل .. تذبل ، وتموت !

خيل لـ (حورى) أن حاجبا المعلم الأكبر قد انعقدا ؛ وهو يرفع سبابته قائلاً دون أن تكف حدته عن التزايد :

ـ نعم .. تذبل وتموت .. ونحن لانتعهد الزهور بالرعاية

منذ أن كانت بذورًا وبراعم حتى تذبل وتموت .. حتى لو فرضت عليها الطبيعة هذه النهاية القاسية ، سنمنعها عن ذلك ولو بالقوة .. هل تفهمنى أيها الزهرة الصفراء ؟!

تنحنح (محب) قائلاً ودون أن يرفع عينيه المطرقتين :

ـ أفهم .. وأعتذر ، معلم (تحوت) ..

ـ هذا حسن ..

نقل (تحوت) بصره إلى (حورى) الذاهل ، سائلاً إياه :

ـ وأنت أيتها الزهرة القرمزية .. هتل مازلت تفضل العمل منفردًا ؟!

أجاب (حورى) بلباقة وسرعة بديهة :

ـ لم أكن أقدر فوائد العمل الجماعى يا معلم ، لكنى قدرتها بالتجربة ..

ـ هذا مطمئن ..

ونقل (تحوت) بصره بينهما مجددًا قبل أن يقول :

ـ .. استدعيتكما لعمل جديد ..

وأردف بتنهيدة طويلة :

ـ .. وخطير ..

سأل (حورى) فى اهتمام :

ـ مع القائد (تاوى) كما اعتدنا ؟!

ـ كلا .. ستعملان هذه المرة دون قيادة ..

رفع (محب) عينيه ، وتساءل مشيحًا بيديه فى الهواء :

ـ ودون زميلنا الثالـ ... أعنى ، زميلتنا الثالثة ؟!

نظر إليه (تحوت) مليًا ، ثم قال :

ـ الزهرة الحمراء ستشارككما الشمس .. إنها تكمل ماينقصكما وهو بيت القصيد ..

لم تلح الغبطة هذه المرة فى وجه (محتب) ، بل حل نوع من الضيق الذى جاهد لإخفائه سريعًا ..

لكنه أمر لم يفت على كاهن محنك مثل (تحوت) ..

ـ شمس (طيبة) من جديد ؟!

سأل (حورى) دون أن ينقص اهتمامه ذرة ، وأجابه (تحوت) على الفور :

ـ بل شمس أخرى أشد حرارة ولهيبًا ..

ـ أحراش النوبة ؟!

ـ بل أرض أكثر نعومة وارتفاعًا ..

وصمت (تحوت) هنيهة ، قبل أن تتغير لغته المصرية وهو يقول :

ـ .. خبرانى، هل مازلتما تتقنان لغة (التحنو) و(التمحو) التى تعلمتماتها صغيرين ؟! وهل تذكران ما تعلمتماه عن بحر الرمال الغربى ، حيث القبائل الراحلة ، وحيث التلال والكثبان والسباع والثعالب والغزلان والأشواك الخضراء ؟!

تضاعف اهتمام (حورى) وهو يهتف فى حماسة رصينة :

ـ بالطبع ، معلم (تحوت) ..

وسأل (محب) بنفس اللغة التى تحدثا بها ؛ لغة (التمحو) الغربية :

ـ هل سنذهب إلى هناك أخيرًا ؟!

هز (تحوت) رأسه ، وأجاب معاودًا النظر فى البردية المفرودة أمامه :

ـ أجل ، لكن ليس أولاً ..

ثم إنه أوضح بقوله :

ـ .. ستتجهان إلى (أبيدوس) ، ومنها إلى (الواحة الكبيرة) ..

سأل (حورى) بنفس الحماسة الرصينة :

ـ وما طبيعة المهمة ، معلم (حورى) ؟!

قال (تحوت) :

ـ أخبرانى ما تعرفانه أولاً عن (التحنو) و(التمحو) ..

وتابع بنفس اللغة التى يتحدث بها :

ـ .. بنفس اللغة التى تتحدثان بها !

تبادل (حورى) و(محب) نظرة خاطفة ، ثم قال الثانى هارشًا فى رأسه :

ـ (التحنو) قوم رحّل مسالمون من رعاة الماشية وغارسى الأشجار ، يسكنون فى القسم السفلى من الصحراء الكبيرة قرب البحر الشمالى و(أرض النخيل) البعيدة ، يمتاز رجالهم بطول الشعر وقلة الملبس .. لم يشكلوا خطرًا على وادى النيل طوال السنين ولم تحمل لنا برديات الأقدمين أية إشارات عن كونهم مقاتلين غزاة أو حتى شاقين لعصا الطاعة فى أى عهد سبق ..

أكمل (حورى) :

ـ أما (التمحو) فهم جيراننا فى القسم العلوى من الصحراء ، ينتشرون على اتساع الرمال والسهول المعشوشبة و(أرض البقرة) و(الواحة الكبيرة)(*) حتى حدود (كوش) ، ليس لهم مكان محدد يقيمون فيه ويخيمون دائمًا بجوار الآبار ، ويتميزون بالعيون الزرقاء والشعر الأشقر المائل للحمرة .. كانوا فى القدم قومًا بسطاء لاحيلة لهم ، لذا فقد قام الكثيرون من أمراء الأقاليم وقادة الجيش بالإغارة عليهم وأسرهم ؛ إما ليعملوا عبيدًا وإما ليجندوا فى صفوف الجيش ، ومع مرور الوقت اكتسب هؤلاء القوم القدرة على القتال وبدءوا فى فرض سيطرتهم على مقدرات أمورهم .. أدى هذا إلى مناوشات وصدامات عدة مع الجيش الفرعونى على مر السنين ، وفى فترة ما بعد التحرير من قبضة الرعاة تم التوصل إلى اتفاق معهم على هدنة طويلة بلا قتال .. ونحن مازلنا فى هذه الفترة بالفعل ، حتى إنهم يدخلون الأقاليم جميعها ـ بما فيها العاصمة (طيبة) نفسها ـ دون قيود ؛ إلا أن يكونوا بلا ريش يزين رءوسهم !!

(★) (أرض البقرة ـ تاحو) هو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على واحة (الفرافرة) ، و(أرض النخيل ـ سخت ايما) هو الاسم الذى أطلقوه على واحة (سيوة) ، أما (الواحة الكبيرة ـ ورت) فهو الاسم الذى يطلق على واحة (الخارجة) الشمالية ، وهذه الواحات مع (الداخلة) و(البحرية) تشكل أهم معالم الصحراء الغربية المصرية ..

هز (محب) رأسه مؤيدًا وقال :

ـ نعم .. أستطيع أن أتذكر أن المحارب من هؤلاء القوم يضع ريشة أو اثنتين فوق رأسه ، للدلالة على الشرف وسمو المكانة ..

قال (حورى) متممًا :

ـ نعتم ، بالإضافة إلى اللحية القصتيرة المدببة الطرف التى تميز هؤلاء القوم من المقاتلين ..

وحل الصمت بعدها ، حتى قال المعلم (تحوت) فى النهاية :

ـ هذا يرضينى .. ولغتكما لابأس بها على الإطلاق ..

سأل (محب) وهو ينفض عن كاهله بعضًا من الكآبة :

ـ والآن ؟!

قال (تحوت) محدقًا فى المجهول :

ـ لقد اختطفوا ابنة حاكم (أبيدوس) صباح أمس !

انعقد حاجبا (حورى) وهو يسأل على الفور :

ـ من هم ؟!

ـ (التمحو) ..

ـ برغم اتفاق الهدنة والسلام ؟!

قال المعلم الأكبر :

ـ هتذه الاتفاقات ـ حتى وإن كانت مكتوبة ـ ليست إلا هدوءًا مؤقتًا فوق سطح الماء ، يخفى أسفله الدوامات وصراعات التماسيح ..

سأل (محب) مندهشًا :

ـ وما المبرر ؟! هل لهم مطالب معينة ؟!

أجابه (تحوت) وهو يدير عينيه نحوه :

ـ أجل .. لهم مطلب واحد ..

وتابع مفسرًا :

ـ .. الإفراج عن فارسهم (خاتى) الذى اعتقلته القوات الملكية فى (طيبة) منذ بضعة أسابيع ..

ـ ومن (خاتى) هذا ؟!

سأل (حورى) باندفاع ، وأجاب (تحوت) فى تأن :

ـ (خاتى) واحد من فرسان (التمحو) ، وسيد عشيرة كبيرة من عشائرهم البدوية ، تربطنا بها علاقات جيدة تقوم على تبادل المنفعة والسلام .. لكن هذا الحال لم يكن ليعجب شخصًا طموحًا مثل (خاتى) ، فقد كان يرى أنهم ـ العشائر الكثيرة المكونة لقبيلة (التمحو) ـ أحق بالسكنى فى والسيطرة على وادينا الخصيب ماداموا اقوى منا رجالاً وأعز منا نفرًا .. ولما عارضوه ووقفوا فى طريق أحلامه انشق عنهم وبدأ مع بعض الفرسان الآخرين المنشقين عن عشائرهم فى تكوين جيش صغير اتخذ من جنوب (الواحة الكبيرة) مقرًا له ، وبدأ هذا الجيش فى مناوشتنا بقطع طرق القوافل السائرة فى الصحراء والسطو عليها تارة ، وبالإغارة على مناجم الذهب والمحاجر الخاصة بنا فى الغرب تارة أخرى ، بل وتمادوا فى أحايين أخرى وتسللوا إلى (طيبة) نفسها لسرقة صوامع الغلال وقرابين المعابد تحت جنح الليل ..

غمغم (محب) متهكمًا :

ـ كأننا كنا نطعمهم الرماية ليرمونا بسهامهم فى النهاية !

وسأل (حورى) :

ـ ولماذا لم تخرج حملة عسكرية لتأديب هؤلاء القوم العصاة ؟!

أكمل (تحوت) كأنه لم يسمعه :

ـ كان لابد من وضع حد لهذه المهازل دون أن يشعر العامة بأن المملكة المصرية تقيم وزنًا لبعض المغيرين الرعاع ، فهذا مما يفقد السلطة الكثير من مصداقيتها وسموّها فى أعين البسطاء ، لذا فقد فكر الأمير (تحتمس) أن أفضل مايمكن اللجوء إليه فى موقف كهذا هو الدهاء والحيلة ..

ضيق (حورى) عينيه كأنما يعصر عقله ، ولاح السؤال فى ملامح (محب) ، فتركهما المعلم يفكران قليلاً قبل أن يقول :

ـ .. لقد أرسل لهم الأمير مندوبًا من القصر الكبير ؛ يدعوهم جميعًا باسمه إلى مأدبة عشاء ملكية ، وذلك ليرى مطالبهم ويتدارسها بنفسه معهم حتى يتم التوصل إلى حلول ترضى جميع الأطراف ..

فرقع (محب) بإصبعيه ، وهتف مستعيدًا طبيعته المرحة :

ـ فكرة رائعة ، وفى القصر يلتف حولهم الحراس ويودعونهم السجن ..

وهرش (حورى) فى ذقنه مغمغمًا :

ـ وهل وافقوا على الحضور ؟!

هز (تحوت) رأسه فى وهن وهو يجيب :

ـ ابتلعوا الطعم وجاءوا ؛ ظانين أنهم قد أصبحوا فى مكانة الأسرة الملكية التى دعتهم للتفاوض ، وبعد العشاء وجدوا أنفسهم فى غياهب سجن معبد (آمون) الكبير ، محاطين بحراسة شديدة يبلغ قوامها مئات الجنود ..

تحول مرح (محب) إلى حيرة وهو يتساءل :

ـ ولماذا يطلب (التمحو) إطلاق سراح (خاتى) وهو منشق عنهم ؟! ولماذا بهذه الطريقة الابتزازية ؟!

أجابه (تحوت) :

ـ ليسوا هم بالتحديد ، بل بقية الجيش الصغير الذى تركه المنشقون خلفهم فى الصحراء هو من فعل !

تساءل (حورى) هذه المرة :

ـ وهل ظل للجيش بقية ؟!

ثم روى لهما المعلم الاكبر ـ باختصار غير مُخِلٍّ ـ ما دار فى (أبيدوس) نهار الأمس ..

ـ أجل .. بعض الفرسان الضعاف ، والفارسات !

ـ الفارسات ؟!

هتف بها (حورى) فى شىء من الاستنكار ، فقال (تحوت) :

ـ بعض النساء فى هؤلاء القوم مقاتلات لايشق لهن غبار ..

ـ كأنك تريد القول إن من خطف ابنة الحاكم مقاتلة من هؤلاء ، معلم (تحوت) !

قالها (محب) وهو يقدم كلمة ويؤخر أخرى ، فأجابه (تحوت) بعد برهة :

ـ هذا ماحدث ، والشواهد تدل على أنها زوجة (خاتى) نفسه بالتعاون مع اثنين من أبناء عمومته ..

ثم روى لهما المعلم الأكبر ـ باختصار غير مخل ـ ما دار فى (أبيدوس) نهار الأمس ، وختم روايته بقوله :

ـ لقد أسروا الأميرة الصغيرة فى صندوق البضائع ، وتركوا بجوار المربية العجوز المخدرة خطابًا بالهيروغليفية يطلبون فيه مقايضة حياة الأميرة بحياة (خاتى) ، وأن

يتم ذلك فى غضون أيام ثلاثة فى مقر مخيمهم جنوب (الواحة الكبيرة) ، ويحذروننا إن نحن لم نأخذ الأمر مأخذ الجد ؛ فسيتم القضاء على الأميرة الأسيرة ، وسيدفنوها حية فى رمال الصحراء ..

لاح الفزع على وجه (محب) وهو يشهق هاتفًا فى ارتياع :

ـ يا للقسوة !

تابع (تحوت) :

ـ تركوا أيضًا مع اللفافة التى دونوا عليها الخطاب : ريشة واحدة ..

هز (حورى) رأسه متفهما وهو يغمغم فى بطء :

ـ للدلالة على الشرف وسمو المكانة !

وران الصمت بعدها لدقيقة أو يزيد ، حتى سأل (محب) فى النهاية :

ـ وما العمل فى هذا الوضع المعقد ؟!

لم يجبه (تحوت) ولم يحرك ساكنًا ؛ كأنه استحال إلى

تمثال كاتب يجلس القرفصاء ، فسأل (حورى) بدوره وقد أوجس من صمت معلمه خيفة :

ـ هل سنفرج عن (خاتى) ونحمله إليهم فى الخفاء أم ماذا ؟!

تنهد (تحوت) ، وهز رأسه الغارق فى الشيب نفيًا ، ثم أجاب :

ـ كلا .. هذا ليس فى أيدينا للأسف !

انعقد حاجبا (حورى) وهو يسأله فى غير فهم :

ـ ما معنى (للأسف) هذه ؟!

وأتبعه (محب) فى لهجة أقل حدة :

ـ وما معنى أن هذا ليس فى أيدينا ؟! هل هرب (خاتى) أم ماذا ؟!

ـ بل مات !

.. وتفجرت ملامحهما بالدهشة ..

ـ .. قتل نفسه فى السجن .. لم تحتمل أعماقه الفائرة بالسؤدد والعظمة مشاعر الأسر والذل والهوان ، فأنهى حياته بيده ..

ـ يا للموقف !

غمغم بها (محتب) ولما ينجح بعد فى السيطرة على ذهوله ، بينما سارع (حورى) فى استعادة رباطة جأشه ليقول :

ـ معنى هذا أن الأسيرة فى حكم الميتة ، معلم (تحوت) !

قال (تحوت) رافعًا سبابته لأعلى :

ـ لن تكون فى حكم الميتة إلا حين يقتلونها بالفعل ..

سأل (محب) هازًا كتفيه وملوحًا بكفيه :

ـ وما عساتا أن نفعل فى أمر كهذا ؟!

ـ الكثير ..

وكانت الكلمة التى أسكتتهما ، فتابع (تحوت) :

ـ أخبرتكما أن الأمر تم فى غياب الحاكم (مينا ـ آمون) عن قصره ، وقد عاد الرجل إلى (أبيدوس) فور أن بلغه الخبر ؛ معتذرًا من الأمير (تحتمس) الذى تفهم عذره ، وقرر إيفاد فريق (لوتس) بنفسه لتقصى الأمر واستعادة الأميرة من براثن خاطفيها ..

غمغم (محب) وقد اعترته مشاعر متناقضة :

ـ إنها لعمرى ثقة غالية ..

ـ ستذهبان الآن إلى (أبيدوس) ، وستقابلكما الزهرة الثالثة هناك ..

لم يبد أى منهما اعتراضًا هذه المرة ، على الرغم من مزيج المشاعر المتناقضة الذى عربد فى أعماق كليهما على حد سواء ..

ـ سيستقبلكما السيد (مينا ـ آمون) بنفسه فى قصره ، وقد أعطيناه خلفية مسبقة عن الجنود ذوى القدرات الخاصة الذين سنرسلهم لتولى المهمة ، دون الولوج معه فى تفاصيل كثيرة ؛ حرصًا على سرية وأمن (لوتس) ..

قال (محب) هازًا رأسه كأنه يستلهم إليها الأفكار :

ـ مازلت لا أفهم !

وفسر (حورى) قوله :

ـ ما هو المطلوب منا تحديدًا فى هذا الأمر ، معلم (تحوت) ؟!

وفسر (محب) أكثر :

ـ نعنى بالطبع بعد مغادرتنا قصر الحاكم وتقصينا الأمور فيه !

قال (تحوت) كأن الأمر لا يعنى شيئًا جسيمًا :

ـ أخبرتكما أنكم ستتجهون إلى الصحراء .. إلى (الواحة الكبيرة) حيث يحتفظون بالأميرة لتعيدوها إلى الديار الفرعونية سالمة ..

وأخذ (تحوت) نفسًا عميقًا ثم استطرد :

ـ .. هؤلاء البدو يسيئون إلى هيبة النظام الفرعونى ؛ الذى أرسى أجدادنا مبادئه منذ سنين موغلة فى القدم ، ولايجب أن نسمح لهم بهذا على الإطلاق .. إننا لن نستعيد الأميرة كشخص مخطوف فقط ، بل كرمز لحضارتنا التى يريد بعض الفئران أن يقرضوا أساسها المتين ..

قال (محب) وقد عادت لهجته ـ كديدنها الأبدى ـ تترنح بين الجد والهزل :

ـ عذرًا يا معلم ، لكن .. لست أفهم حتى الآن : كيف ؟!

عقد (حورى) ساعديه أمام صدره العريض وقال فى شمم :

ـ أم أنكم ستتركون لنا أخيرًا حق تحديد خطواتنا ؟!

قال المعلم (تحوت) :

ـ كلا ..

لاح شىء من الضيق فى وجه (حورى) ، فأردف (تحوت) :

ـ لم يحن الوقت بعد ..

وقبل أن يفتح (محب) فاه ليتفوه بنفس السؤال مجددًا ، أجابه معلمه :

ـ ستسيرون وفق خطوات محددة لكم سلفًا من قبل مجلس حكماء (لوتس) ، حتى تطمئن قلوبنا إلى عدم التنازع على دور القيادة ..

هز (محب) رأسه مغمغمًا :

ـ هذا مفهوم ..

ولم ينطق (حورى) بكلمة واحدة !

★ ★ ★

٣ ـ أســيرة ..

ـ (حنوت) .. (حـ..) .. (حنووووت) ..

هتاف واهن وعينان مغلقتان .. ووعى غائب ..

ـ (حنوت) .. هـ .. ل .. أ .. نـ .. ت .. بـ .. جـ .. و .. ا .. ر .. ى ؟!

الجفنان يرتفعان ببطء شديد ، والوعى يتسلل متمهلاً إلى العقل والأطراف ..

ـ (حنوت) .. أ .. ه .. ذ .. ه .. أ .. نـ .. ت ؟!

الرؤية مضطربة ، واللسان ثقيل ، واليد ترتفع بصعوبة نحو الكائن الشبحى المترائى لها فى محيط الألوان المتداخلة بلا تفاصيل ..

ـ (حنوت) ..

.. وشهقة ..

العينان تتفتحان على اتساعهما فجأة ، والرؤية تعود

واضحة كصفحة (حابى) فى مواسم الحصاد ، والوعى يخترق مشاحات التشوش ، واللسان يستعيد خفته وليونته وإن نطق بذعر لاهث :

ـ .. أين أنا ؟!

ثم ترتفع العينان إلى الواقف بالجوار على ركبتيه ؛ فى ثبات يليق بجندى حرب :

ـ .. من أنت ؟!

.. عفوًا ؛ الواقفة بالجوار على ركبتيها !

ـ عمت صباحًا أيتها الأميرة المبجلة (سات) ، ابنة حاكم أبيدوس الوحيدة ..

(.. وجهها فيه ملاحة وصرامة ، عظم الوجنتين بارز تغطيه بشرة بيضاء مشربة بالحمرة ، رموش سوداء طويلة تكلل عينين واسعتين ملونتين بلون السماء والبحر ، الشفتان غليظتان مرسومتان بدقة ، والأنف شامخ فى غير استطالة ..)

ـ أنا أعرفك .. أنت ...

.. لكن الهيئة مختلفة قليلاً هنا ، فالرأس يكلله غطاء معدنى لامع يمنع ظهور الضفائر ، والجسد الممشوق مكسو برداء

من الجلد البنى ، وعلى الصدر درع معدنى كبير ، بالإضافة لتلك اللحية الصناعية المثبتة أسفل الذقن بخيطين رفيعين ينتهيان خلف الأذنين ..

تابعت الأميرة (سات) فى ذهول وقد اعتدلت قليلاً فوق البساط الخشن الذى تنام فوقه :

ـ .. أنت البائعة الجائلة التى ...

وحاولت عبثًا إيجاد ما تكمل به العبارة لكنها لم تفلح ، إن عقلها عاجز عن تذكر ما حدث ، أو للدقة هو عاجز عن إيجاد صيغة منطقية لكل ما يحدث !

قالت المرأة فى بسمة لم تجعل سحنتها أكثر حميمية :

ـ مرحبًا بك يا أميرة فى أرضنا المتواضعة ..

صدمت العبارة (سات) ، فطفقت تنظر حولها وهى تسأل مأخوذة :

ـ أرضكم ؟! ماذا تعنى ؟! أين أنا ؟!

لم تصادف عيناها الكثير ، إنها ترقد فوق أرض رملية ، يفصلها عنها بساط مجدول من الحبال الليفية الخشنة ، وحولها جدران قماشية ممتدة لأعلى لتصنع سقفًا منشوريًا ، لكن هذا لا يفسر شيئًا ..

بل إنه لا يفسر شيئًا بالمرة ..

هكذا فكرت (سات) وهى تغالب الدوار الذى يعتريها !

ـ أنت الآن فى خيمة غير بعيدة عن قصر والدك .. ونحن أصدقاء ، ستظلين فى ضيافتنا لفترة من الوقت حتى تتحدد بعض الأمور المهمة والمصيرية !

أمسكت (سات) رأسها بيديها وأطلقت أنة ألم ..

ـ .. أعلم ما تكابدينه ، فقد نمت طويلاً .. يوم كامل من النوم كفيل بأن يبث فى الرأس كل هذا العناء ..

ثم إنها مدت يدها بإناء نحاسى صغير يحوى سائلاً أخضر ويفوح بالبخار نحو (سات) ، وهى تكمل :

ـ .. خذى هذا الدواء ، سيساعدك على التعافى بسرعة ..

نظرت (سات) إلى الإناء بطرف خفى ، وهتفت مشيحة بوجهها عنه :

ـ لا أريد .. أريد العودة إلى القصر الآن ..

تنهدت المرأة وقالت واضعة الإناء فوق الرمال بجوار الأميرة :

ـ كما تحبين ، لكنى أنصحك بشرب القليل منه إذا احتدم الألم ، فلن يجدى معك سواه ..

ونهضت المرأة واقفة ؛ تنفض الرمال العالقة بثوبها الجلدى ، وتتابع :

ـ .. وبالنسبة لرغبتك فى العودة ، فهذا رهن بالأمور المصيرية التى أحدثك عنها !

هتفت (سات) فى وهن وهى ترفع عينين ضارعتين إليها :

ـ لا أعلم عم تتحدثين يا سيدة !

ـ لا تنادينى بهذه الصفة مرة أخرى ..

قالتها المرأة فى صرامة وأتبعت بقولها فى إباء :

ـ .. نادينى بفارسة .. إن هذه هى صفتى الحقيقية ها هنا ..

ـ أنت من (التمحو) إذن ..

ـ لمستُ فيك الحذق ـ يا أميرة ـ منذ الوهلة الأولى ..

ولوحت بسبابتها مردفة :

.. لكن إياك أن تستخدمى حذقك هذا بطريقة خاطئة معى ..

عليك بالمكوث فى هدوء وسكينة حتى صباح الغد ، ومن جهتنا سنعاملك كضيفة من الدرجة الأولى ، وسنوفر لك ما نستطيع من أسباب الدعة حتى تعودى إلى (أبيدوس) معززة مكرمة .. أما إن ندّ عنك أى عبث بطولى أخرق فلا تلومى إلا نفسك ، إذ لن يكون من معنى له سوى أنك تستخفين بنا ، وليس لهذا بالتالى إلا عقاب واحد ..

واشتعلت النيران فى عينيها الزرقاوين ، وهى تتمتم فى شر :

ـ .. أن تكون الرمال هى قبرك الأبدىّ الأخير ..

غالبت (سات) الصداع بأقصى ما أوتيت من قوة ، وقالت :

ـ لا أفهم شيئًا مما تقولين .. لـ .. لماذا أنا هنا ؟! ولماذا أخذتمونى من القصر بهذه الطريقة الغريبة ؟! ما علاقتى بتلك الأمور المصيرية ؟! وماذا سيحدث فى صباح الغد ؟!

أجابها الصمت الساكن فى زرقة العينين وحدة الملامح ، فأضافت سؤالها الأخير الملحّ :

ـ .. ومن أنت أيتها الفارسة ؟!

ـ ستعرفين كل شىء فى الوقت المناسب ..

وقبل حتى أن تكتمل عبارتها ، علا الصياح من خارج الخيمة الواسعة :

ـ (لووووكاااا) .. (لووووكاااا) !!

ودلف (يام) إلى الخباء بقامته المديدة وقسماته الغريبة ولهاثه المتصل ..

ـ .. (لوكا) ، لقد وصل رسولا (أبيدوس) ..

رمقته (لوكا) بنظرة نارية ، لكنه لم يلحظها ، إذ استدار ناظرًا إلى (سات) ، وسأل فى حماقة :

ـ معذرة ، هل استيقظت الأميرة ؟!

نظرت إليه (سات) فى استغراب محاولة النفاذ إلى الطلاسم التى يتفوه بها ، فى حين قبضت أصابع (لوكا) على معصمه وقالت مخاطبة إياها :

ـ تذكرى ما قلته لك جيدًا يا صغيرتى ، يمكنك أن تجعلى من نفسك أميرة مبجلة وضيفة عزيزة ، أو أسيرة ذليلة تستجدى رحمة آسريها عبثًا .. هذا يعتمد على حكمتك وحسن تصرفك ..

ثم إنها غادرت الخيمة عبر منفذها الوحيد جانبة (يام) خلفها ..

ـ تعال معى ..

.. بينما عاود الألم دقاته المبرحة فى رأس (سات) ..

ـ كلا .. هذا كثير ..

همست بها ونظرت بنفس الطرف الخفى إلى الإناء النحاسى ؛ المستكين بين حبيبات الرمل إلى جوارها فى وداعة ..

وخلف الخيمة الكبيرة التى ترقد فى داخلها ، تلقى (يام) لطمة على وجهه ألقته إلى الوراء عدة أذرع ، ودفنت وجهه فى رمال الصحراء النقية !

ـ غبى .. لم أر من هو أغبى منك فى حياتى !

زمجرت بها (لوكا) فى غضب جعلها أشبه بوحش كاسر ، بينما رفع (يام) وجهه وبصق ما احتشد فى فمه من رمل ؛ صائحًا فى لهجة أقرب للبكاء :

ـ أتضربينى يا (لوكا) ؟!

ضمت (لوكا) قبضتها أمام وجهها وزمجرت فى غضب أشد :

ـ هو أقل ما تستحقه ..

صاح (يام) كطفل معاقب :

ـ ولم ؟! ماذا فعلت ؟!

قالت (لوكا) وهى تجاهد للسيطرة على انفلات أعصابها :

ـ ألم أحذر مرارًا من نطق اسمى أمام أى امرئ كان ..

عاد (يام) يصيح مدافعًا وهو يمسح وجهه المترب بكفيه :

ـ لم أعرف أنها أفاقت من تأثير المخدر ..

وبصق مزيدًا من التراب ثم أضاف :

ـ .. وهى لاتفقه اللغة التى أتكلمها ؛ كما قلت لنا من قبل ..

ـ لكنها ذكية بدرجة تبعث على الخوف !

غمغمت بها (لوكا) دون أن تفقد حدة غضبها ، ودون أن تخمد النيران المتأججة على محياها الصارم كحد الحسام ..

وصارح (يام) نفسه بأنه يخشى هذه المرأة القوية ..

يخشاها أكثر مما يخشى زوجها الأسير فى أيدى فراعين (طيبة) ..

وبأكثر مما تستطيع طبيعته الجبانة أن تحتمل ..

لكنه برغم كل شىء ، وبدافع من كرامته الجريحة ورجولته المهانة ، سألها فى جرأة لم يدر كيف ولا من أين واتته :

ـ أريد أن أعرف : ما سر هذا الإصرار السخيف على الاحتفاظ باسمك فى طى الكتمان ؟!

هل تتصورين أنهم لم يخمنوا كنه شخصك بعد فى (طيبة) أو فى (أبيدوس) ؟!

ـ لقد فعلوا بالتأكيد ..

دمدمت بها (لوكا) لاهثة ، وقالت مقتربة من (يام) ، ثم ممسكة بتلابيبه لترفعه من سقطته فوق الرمال ؛ إلى الاستقامة واقفًا :

ـ .. لكنك أخرق بما يكفى لاتستوعب الدرس التالى : لاتعط غريمك ما يؤكد له معرفته على الإطلاق ، لأن المعرفة فى حد ذاتها قوة رهيبة ..

وسألته مقربة وجهها من وجهه المذعور :

ـ .. هل تفهم شيئًا مما أقول ؟!

هز رأسه نفيًا بمنتهى الصدق ومنتهى الرعب ، فمطت شفتيها وتركته يسقط على الأرض كما كان ..

ـ .. توقعت هذا .. لن يفهم أحد هذا المنطق البسيط إلا بعد آلاف السنين البعيدة ..

وتنهدت سارحة ببصرها فى المجهول :

ـ .. ويل لمن سبق عقله زمنه !

تساءل (يام) فى أعماقه ـ ولم تكن المرة الأولى التى يطرح فيها السؤال على نفسه ـ عما إذا كانت (لوكا) مجنونة ، لكنه لم يجد جوابًا شافيًا !

ـ .. ماذا كنت تقول عن رسولىْ (أبيدوس) ؟!

سألته مستعيدة هدوءها واتزانها فجأة ، مما رسخ الفكرة / السؤال أكثر فى ذهن (يام) ..

ـ لقد وصلا بالفعل ، فهرولتُ أبحث عنك فى جميع أرجاء المخيم ..

ثم إنه ابتسم واقفًا وهو يضيف :

ـ .. هل تذكرين حارسىْ قصر الحاكم ؟!

.. والتفتت إليه بعينين تلوح فيهما علامات استفهام وتعجب ..

جال (حاب) الساخط و(تاى) الهادئ ؛ كما كانا عند بوابة القصر ، ببصريهما فى أنحاء المخيم الواسع ، القائم فى واد صحراوى منخفض بين جبلين عاليين ، وعلى المدى المفتوح بينهما تلوح من بعيد آثار النخيل والأشجار حيث تقع (الواحة الكبيرة) ..

فى المنتصف ـ حيث يقفان ـ بئر مياه دائرى رصت حول حوافه الأحجار ، وتناثرت حوله الحبال المجدولة والقدور والأوانى الفخارية والمعدنية ، وعلى الأطراف فى دائرة واسعة نصبت خيام كثيرة كئيبة الألوان مصنوعة من أنسجة القطن والصوف والشعر .. الخيول والظباء والأرانب البرية تجول فى حرية دون قيود من أى نوع ، كأنها من سكان المكان ، وبين مساحة وأخرى هناك موقد مشتعل أو جمرات مطفأة أو قربة ماء مهملة ، وفى السماء التى تتوسطها الشمس الزاحفة نحو حر الظهيرة ، تجول الحمائم والنسور فى أسراب متعاقبة يطارد بعضها بعضًا ..

الصحراء فى هذه البقعة قفر لا كلأ فيها ولا رعى ، والناس قلة ؛ أغلبهم نساء وأطفال أو رجال تنقصهم القوة والفروسية ، مثل هذا القصير الواقف أمامهما فى لباس حربى ، يختلف عن الرداء الرث الذى كان يلبسه بالأمس ؛ عندما جاء للقصر فى مهمة خطف الأميرة !!

ـ ها هو ذا (ونى) يقف معهما ..

همس بها (يام) فى أذن (لوكا) وهو يتقدمها نحو مركز المخيم ، حيث (ونى) يبتسم فى ظفر وهو يخاطب الجنديين بالمصرية الركيكة قائلاً :

ـ لا تنكرا أنها كانت خدعة متقنة ، ألم تكن حقًا كذلك ؟!

هز (حاب) كتفيه وهو يهتف فى حنق ، وسحنته تزداد اكفهرارًا :

ـ لم أطمئن لمرآكما من البداية .. لو تركت لى الفرصة لما نجحتما فى دخول القصر إلا جثتين هامدتين ..

وقال (تاى) فى عقلانية هادئة :

ـ أعترف يا صاح أن الظروف قد خدمتكم ، فلولا وجود الأميرة ومربيتها فى الشرفة لما سمح لكم أحد بالدخول !

ضحك (ونى) مقهقهًا ، ثم غمزهما وهو يقول :

ـ البدائل دومًا موجودة يا عزيزى ، والماهر من يقتنص الفرصة من فم الغضنفر ..

زفر (حاب) لهبًا وهو يغمغم :

ـ أوغاد محظوظون !

وأتى الصوت الأنثوى الصارم من خلف الحارسين ، الرسولين :

ـ من يتحدث عن المهارة والحظ هاهنا ؟!

والتفتت العيون الست نحو (لوكا) و(يام) ..

ـ أنتما أيضًا شاركتما فى خطف الأميرة !

لم يفهم (يام) بطبيعة الحال ما قاله (حاب) ووجهه يستحيل فحمًا محروقًا ، وإنما توقف بحذاء (ونى) ، وترك كلاهما (لوكا) تتقدمهما بخطوتين لتحادث الحارسين وجهًا لوجه ، سائلة فى صلف :

ـ من أرسلكما ..

هم (تاى) بالتكلم ، لكن (حاب) سبقه فى الهتاف بانفعال :

ـ لن نتحدث إلا أمام سيد القوم ..

لمح (تاى) شرارة الغضب تندلع فى عينى (لوكا) ، فقال محاولاً تلطيف الجو :

ـ هكذا أمرنا ، فعذرًا !

ضغطت (لوكا) على أسنانها فبرزت عظمتا فكيها الجانبيتين ، وقالت متحلية بالصبر :

ـ لكن أميركم المدلل (تحتمس) قد أسر سيد قومنا فى معبده الكبير ..

ـ أتحدث عمن يليه فى ترتيب السيادة ..

قالها (حاب) فى إصرار مستفز ، مما جعل (لوكا) تقول وقدماها تضربان الأرض بحركة عصبية :

ـ همم .. ليكن .. لابد أيها السيدان أنكما على علم بأن خيرة رجالنا وفرساننا المغاوير يشاركون (خاتى) ـ سيد قومنا ـ سجنه ، لذا فيمكنكما اعتبارى سيد القوم حتى يعود الأسرى إلى ديارهم هذه ، قريبًا ..

نظرا إليها مليًا ، وبالتحديد إلى الذقن المستعارة الطويلة المثبتة أسفل وجهها ، فما كان منها إلا أن قبضت عليها بأصابعها قائلة فى ثبات :

ـ .. لا تدهشنكما هذه كثيرًا ، إن ملكتكم (حتشبسوت) تضع مثلها فى كل المناسبات والاحتفالات الرسمية(*)..

(*) حقيقة تاريخية مثبتة .

سألها (تاى) متوخيًا الحذر فى كل كلمة يتفوه بها :

ـ وهل تمتين بصلة قربى لـ (خاتى) ، سيد (التمحو) الأسير ؟!

سارعت بالقول وهى تعقد ساعديها أمام درع صدرها المعدنى :

ـ لتدخلا فى الصميم دون تباطؤ ، فيم مجيئكما من (أبيدوس) الآن ؟!

تبادل الحارسان نظرة ذات مغزى ، حتى تنحنح (تاى) مبتدئًا الحديث وهو يزن كلماته بميزان البعث :

ـ لقد أرسلنا السيد الموقر (مينا ـ آمون) بنفسه ، لنحمل إليكم منه عرضًا محددًا ..

واندفع (حاب) على إثره يقول :

ـ لقد قرأ رسالتكم اللعـ .. أعنى القصيرة ، واطلع على مطلبكم ، ورفعه للقصر الملكى دون إبطاء ..

هزت (لوكا) رأسها فى تفهم وقالت :

ـ جيد ، وماذا كان الرد ؟!

قال (تاى) فى لين :

ـ سيدتى، هذه المسائل لاتؤخذ على عجالة هكذا ، وتحتاج إلى دراسة وتفكر وتدبر و ....

قاطعته بعدم اكتراث :

ـ ادرسوا وتفكروا وتدبروا كما يحلو لكم حتى صباح الغد ، ولتوافونى بالنتائج سريعًا ، فلست ممن يطيقون طول الانتظار ..

هتف (حاب) وقد أثارت لامبالاتها طبيعته الثورية :

ـ ليس هذا مانريد قوله .. إن السيد (مينا ـ آمون) حاكم الإقليم يدعو سيد القوم الجديد للعودة معنا وسط زمرة ينتقيها من فرساته ، ثم الجلوس معه على مائدة تحاور مفتوحة للوصول إلى تسويات محد ....

قاطعته ضحكتها المجلجلة الطويلة ، وفوجئ وصاحبه بها تقطع الضحكة فجأة ؛ لتقول فى غلٍ أبَحَّ نبرات صوتها :

ـ مفاوضات أخرى ؟! دعوات وجلسات وتسويات وهراء ؟! لم أكن أتصور أن يستهينوا بعقولنا إلى هذا الحد المؤسف ..

ووجهت حديثها المحتد إلى (تاى) ، وهى تشير بسبابتها الطويلة إلى وجهه كأنها تريد أن تفقأ عينيه :

ـ قل لأسيادك أيها الخادم أن الغبى ـ والغبى وحده ـ هو من يقع فى نفس الفخ مرتين ، وأخبرهم أن (التمحو) ليسوا أغبياء أو سذج إلى الحد الذى تصوره لهم مخيلاتهم المريضة ..

ارتبك (تاى) لأول مرة منذ مجيئة وقد بوغت برد فعلها السريع ، فتلعثم على الرغم منه وهو يحاول أن يقول :

ـ إن الـ .. الغرض يا سيدتى .. هـ .. هو ..

رفعت كفها فى وجهه وهى تقول بلهجة أحدّ من سكين :

ـ انتهى النقاش أيها الرسول .. أخبر حاكمك أننا سننتظره فى الموعد والمكان المحددين فى الرسالة ، وإن لم تكتحل عيون القوم برؤية (خاتى) ، فلايلومن أحد إلا نفسه على ماستلاقيه ابنته من مصير مشئوم ..

ـ لكن ..

ـ قلت إن النقاش انتهى ، هيا .. عد من حيث أتيت ..

تنهد (تاى) ، والتفت إلى (حاب) ليقول ماطًا شفتيه فى حسرة مرة :

ـ هيا بنا يا (حاب) ..

ـ صديقك هذا سيلازمنا هنا ..

رفع (تاى) عينين تطفحان بالدهشة إلى (لوكا) التى نطقت بالعبارة فى بأس ، بينما انعقد حاجبا (حاب) ليزيدا وجهه اسوداداً وهو يصيح فى استنكار عارم :

ـ ألازمكم ؟! ماذا تعنى ؟!

قالت (لوكا) وهى تشد من قامتها الممدودة :

ـ أعنى ببساطة أن صديقك سيعود إلى (أبيدوس) ، وأنك ستبقى معنا هاهنا حتى صباح الغد ؛ الموعد النهائى ..

سألها (تاى) وهو يقدم حرفًا ويؤخر آخر :

ـ ولماذا لا نعود معًا كما أتينا معًا ؟!

ـ حتى يوقن باعثوكما أن رفضنا لعرضه نهائى، فلا يقدح زناد أفكاره ليخرج علينا باقتراح تسويفى آخر ..

سألها (حاب) فى عناد :

ـ ومن قال إننى سأقبل البقاء هاهنا ؟!

ـ للأسف ، الاختيار مسالة غير مطروحة ..

سألها وعناده يمتزج بنوع من الاستخفاف :

ـ ومن ذا الذى يملك حق إجبارى على أمر كهذا ؟!

رفعت كفها للخلف فألقى لها (ونى) برمح طويل ، وأسرعت تشهره فى وجه (حاب) مجيبة إياه بكلمة واحدة :

ـ أنا ..

(.. ولينـدفع (حاب) إلى الخلف ساقطًا على ظهره يتأوه من الألم والخزى ..)

مرت الصورة كوميض خاطف أمام عينى (حاب) فشعر بوخزة خفية فى صدره ، والتفت إلى صاحبه الذى شرد هو الآخر للحظة ، ثم بادله النظرة ..

وفهم كل منهما ما يريد الآخر قوله ..

ليس أمامهما سوى الإذعان لهذه المرأة ، وإلا ...

وابتسمت (لوكا) فى ظفر ..

وفى قوة ..

★ ★ ★

ـ هذا ما توقعناه ..

قالها (حورى) هازًا رأسه فى تفهم وهو يستمع لرواية (تاى) ، الذى وقف فى منتصف بهو القصر ، متسائلاً بينه

وبين نفسه عن هوية هـذا الذى يحدثه بكل ثقة ؛ كأنه أحد أرباب العائلة الملكية لا أقل ..

ـ توقعتموه ؟!

هتف بها السيد (مينا ـ آمون) فى استنكار خفى، وهو يحدق بـ (حورى) من مجلسه الوثير فى صدر البهو، ثم فى (محب) الواقف فى ركن قصى، وقد انكب منـذ وقت طويل على لفافة البردى التى تركها الخاطفون، كأنه يريد أن يستجلى منها سر الحياة ..

هز (حورى) رأسه بالإيجاب وهو يقول بهدوء عميق :

ـ أجل يا سيدى .. توقعنا أن يتصرف (التمحو) على هذا النحو تمامًا !

كاد (مينا) ينفجر فى وجهه صارخًا : ومن أنتما حتى تتوقعان أى شىء ؟! لستما إلا شابين غريرين أجبرت على تركهما تمسكان بزمام الأمور، لأنى لا أملك حيال الأوامر الملكية إلا أن أطيع !!!

لكنه كتم أنفاسه فى صدره، وسأل صابرًا :

ـ ثم ماذا ؟!

عقد (حورى) ساعديه أمام صدره، وقال :

ـ هكذا لايعود من مجال للشك فى كون الفاعل هو (لوكا) ؛ زوجة (خاتى) ..

أتاه صوت (محب) من الركن القصى يقول :

ـ أعتقد أيضًا أنها من كتب هذه الرسالة ؛ فليس فى قومها جميعًا من يجيد الهيروغليفية المعقدة سواها كما تقول مصادرنا، وخطوطها الحادة المنمقة تشى بشخصية قوية وروح قلقة مشحونة بالعصبية والتوتر ..

رفع (حورى) الريشة المتروكة بجوار البردية أمام ناظرى (تاى) وسأله :

ـ ألم تكن تضع فوق رأسها ريشة كهذه ؟!

نظر (تاى) للريشة قليلاً، ثم هز رأسه نفيًا وأجاب :

ـ كلا ..

وتردد للحظة قبل أن يردف :

ـ .. لـ .. لكنها كانت تضع لحية مستعارة مصنوعة من الذهب !

هز (حورى) رأسه متفهمًا من جديد ، وغمغم محدثًا نفسه بصوت مسموع :

ـ لم يراودها الشك إذن ـ مجرد الشك ـ فى مصرع زوجها !

سأله (مينا) ضاغطًا على أسنانه :

ـ وما أدراك ؟!

أجاب ببساطة :

ـ لو حدث لوضعت ريشة الشرف على رأسها ، لكنها لم تفعل واكتفت بالذقن المستعارة للدلالة على سيادتها المؤقتة للقبيلة ..

زفر (مينا) فى ضيق وسأل :

ـ ثم ماذا ؟!

وفقد السيطرة على أعصابه فهتف فى غضب ؛ قبل أن يتطوع أحد بالإجابة :

ـ .. هل سنظل نتحدث هكذا والغروب قد حل ؟! لم يعد يفصل بينى وبين مصرع ابنتى الوحيدة سوى سواد الليلة ؛ لو تعلم يا فتى !

ـ اهدأ يا سيدى ، إننا نعرف ما نفعله ..

قالها (حورى) فى حُلم ، فانفجر (مينا) صائحًا :

ـ من السهل عليك أن تتحدث بهذا الهدوء مادام المصاب ليس مصابك ..

شعر (حورى) بمدى الفجيعة التى يكابدها الرجل ، فلزم الصمت ، وشعر (محب) فى وقفته البعيدة بالألم يعصر قلبه بقبضة باردة ، وانسحب (تاى) خارجًا فى هدوء بينما (مينا) يلهث من فرط الانفعال ، وصوته يتحشرج إذ يتمتم فى كلم :

ـ .. (سات) .. مهجة القلب وفلذة الكبد وروح الروح .. طائرى المغرد وقيثارتى الطروب وقطرة الندى التى تروى قحط شيخوختى ووهنى .. جوهرتى اليتيمة التى حفظتها فى البرج العاجىّ لسنوات طوال ، وكنت أظنها لن تبرحه ..

والتفت إلى يمينه ناظرًا إلى العمود المزركش القائم فى جانب البهو ، متابعًا والجحيم يتأجج فى عينيه شواظ من نار :

ـ .. لكنى لم أصن جوهرتى كما ينبغى لى أن افعل ، لم أضع عليها حارسًا أمينًا بما يكفى لمنع السارقين من الوصول

إليها .. لولا اضطرارى للذهاب سنويًا إلى (طيبة) لأدعو الأسرة الملكية إلى أعياد (أوزوريس) غدًا لما برحت مكانى ، ولما فكرت فى هذا حتى !

تصاعد العويل من أسفل العمود ، حيث أقعت (حنوت) والدموع تغمر تجاعيد وجهها ، بينما انتفخت عيناها واحمرتا احمرارًا دمويًا ملتهبًا ..

ـ ليتنى مت قبل أن اشهد هذا اليوم .. ليتنى مت قبل أن يأخذوك منى يا (سات) .. آه يا وحيدتى (سات) .. أدفع عمرى كله لتعودى لى الآن .. عمرى كله ..

ها هى المربية العجوز تعود لوصل ما انقطع من بكاء ورثاء ، كأن لم يكفها ما ملأت به الدنيا منذ انبلاج الصبح ؛ هكذا فكر (حورى) وهو يمط شفتيه ولما يبرح صمته البليغ ..

ـ صه يا امرأة ..

هتف بها (مينا) وأوردة عنقه تكاد تنفجر ..

ـ .. إنها لم تمت بعد حتى تبكى عليها هكذا ..

ورفع الأب الثاكل كفيه متابعًا ، بينما صدره يعلو ويهبط فى عمق وانتظام :

ـ .. لكنى أقسم أن أخنقك بيدى هاتين إن أصابها مكروه ، حتى وإن كان خدش صغير !

صرخت (حنوت) كأنها جنت :

ـ إنها ابنتى قبل أن تكون ابنتك ياسيد (مينا) .. وغيابها طعنة فى القلب نجلاء ..

تنحنح (حورى) ثم تشجع ليقول :

ـ أعتقد أننا يجب أن ننحى المشاعر جانبًا الآن ، لنفكر فى الخطوة القادمة !

ـ ماذا ؟! نفكر فى ماذا ؟!

بهت (مينا) وهو يتمتم بها ، والجحوظ يحيل مقلتيه إلى كرتين من اللهب ، ثم ...

ـ .. ألا تعلمون ما ينبغى عمله ؟! هل سنستغرق المزيد من الوقت فى التفكير ؟!

.. صرخ بها وقد أفقده الانفعال رشده ، وأتاه الجواب من ...

ـ أجل يا سيدى ..

.. تلك الواقفة عند مدخل البهو ، ببشرتها القمحية كسنابل الربيع ، وعيناها السوداوان كليل الصيف ، وشفتاها المكتنزتان كجذوع الخريف ، وشعرها الطويل المنسدل على ظهرها كأحزان الشتاء ..

ـ .. من الخطأ أن نتحرك خطوة واحدة دون تفكير كاف ..

ـ أتيت أخيرًا ، (نفرو) ..

همس بها (محب) لنفسه دون أن يسمعه أحد ، وعاد لينشغل بالتحديق فى البردية المستقرة بين أصابعه ..

ـ من تكونين ؟!

هتف بها (مينا) فى حدة وهو يحدق فى وجهها ، وأردف ساخطًا :

ـ .. ومن الذى سمح لك بالدخول إلى هنا ؟!

قالت :

ـ بالنسبة للشطر الأول من السؤال : فأنا الضلع الأخير فى مثلث البحث عن خاطفى ابنتك والعودة بها سالمة ؛ ياسيد (مينا ـ آمون) ..

ضرب (مينا) كفًا بكفّ وهو يقول فى استخفاف مشوب بالمرارة :

ـ يا للروعة ، وهكذا أستطيع أن أعتبر ابنتى فى أحضانى ..

ورفع وجهه إلى السماء مخاطبًا لا أحد :

ـ .. رباه ؛ هذا كثير !

تابعت وكأنها لم تسمعه :

ـ وبالنسبة للشطر الثانى : لم يسمح لى أحد بالدخول ، لقد وصلت إلى هنا بنفس الطريقة التى وصل بها زميلىّ هذين !

ـ إنهما لم يخبراني بشىء ، لقد وجدتهما أمامى كأنهما هبطا من السماء !

ـ أليس هذا سببًا أدعى لاطمئنانك قليلاً يا سيدى ؟!

قالها (محب) هازًا كتفيه دون أن يرفع عينيه عن البردية ، فزفر (مينا) همومه الساخنة وهز كتفيه ، ليغمغم أخيرًا بلهجة رضوخ واقتناع :

ـ أجل ، ربما كنت على حق يافتى ..

ـ عمتم مساءً جميعًا ، لقد أنساني الاستقبال الحار واجب التحية ..

قالتها (نفرو) باسمة ، فلم يجبها إلا (حورى) فى حياد :

ـ تأخرت كثيرًا ، نحن هنا منذ الصباح ..

ـ لقد أتيت فى الموعد الذى حددوه لى ، فلست من هواة التأخير كما تعلم ..

قالتها ثم التفتت إلى (محب) لتخصه بتحية وبسمة :

ـ .. كيف حالك أيها الفنان ؟!

سرت قشعريرة فى جسد (محب) النحيل ، وطوى اللفافة ناظرًا إليها بطرف عينه ، ثم قال فى النهاية مبتسمًا فى شحوب :

ـ بخير مادمت بخير ..

ولم يطاوعه لسانه اللبق على النطق بالمزيد ، لكن نظرته قالت وأطالت ..

ـ والآن ..

قالها (حورى) فى حسم ليجذب إليه الأنظار كلها ..

ـ .. لانحتاج إلا لشىء واحد ؛ قبل أن ننطلق ثلاثتنا شطر بحر الرمال ..

قال (مينا) وقد بدأ الأمل البعيد يراود قلبه :

ـ إن كنت تقصد الخيول والمؤن والذخيرة فقد جهزنا لكم كل ما طلبتموه ..

قاطعه (حورى) نافيًا :

ـ كلا ، قصدت أن نعرف الأميرة نفسها !

تعقد حاجبا (مينا) فى غير فهم، ففسر (محب) الأمر بقوله:

ـ نعنى أننا فى حاجة لوصف دقيق لها ، الملامح والسمات والأبعاد ..

وأكملت (نفرو) قائلة :

ـ فمن غير المعقول أن نذهب للبحث عن شخص لا نعرف حتى كيف يبدو ..

واستعاد (محب) بعضًا من حسه المرح فقال :

ـ أنت لاتريد لنا العودة بأى فتاة نلقاها فى مخيم (التمحو) ياسيدى !

هز (مينا) رأسه فى تفهم ، لكنه حك ذقنه وقال كأنه يحادث نفسه :

ـ أستطيع تفهم هذا ، لكنها تبدو مهمة عسيرة بعض الشىء ؛ إذ ليس فى ابنتى ما يميزها عن بقية الفتيات .. ليس على جسمها وشم وليس فى وجهها ندب أو جرح قديم ولـ ...

ـ هل تريدون رؤيتها ؟!

ارتفع صوت (حنوت) أخيرًا وقد تحشرج من فرط النواح، واتجهت إليها العيون وهى تنهض محتملة بساعدها على العمود المزركش الكبير ، وفى حين غمغم (حورى) مقطبًا :

ـ رؤيتها ؟!

زجرها (مينا) بهتافه :

ـ هل تدريكن ما تقولينه أيتها العجوز المتهالكة ؟! أم أنك قد فقدتِ ما تبقى لديك من رجاحة العقل ؟!

اعتدلت (حنوت) واقفة ومسحت دموعها بظهر كفيها ، ثم قالت :

ـ بل أعى كل حرف مما أقول يا سيدى ..

وفسرت مستطردة وهى تلهث انفعالاً باكيًا :

ـ .. إنما أعنى أن تروا تمثالاً لها من الجرانيت ، أبدعته أصابع فنان ملهم .. هو تمثال لم يكتمل بعد ، لكن عمل عامين جعلاه نسخة مطابقة لـ (سات) إلى حد كبير ..

فرقع (محب) بإصبعيه وهو يقول مغتبطًا :

ـ هذا هو الكلام ..

وهزت (نفرو) كتفيها قائلة بعد هنيهة من التفكير :

ـ ولم لا ؟!

وغمغم (حورى) :

ـ تبدو فكرة مقبولة ..

وعاد (محب) يقول فى حماسة :

ـ أستطيع أن أرسم صورة لها على ورقة من البردى ـ نقلاً عن التمثال ـ لتصاحبنا فى مسيرتنا إليها !

ـ هلموا معى إذن إلى مرسم (توت) ..

قالها (مينا) وقد ازداد الأمل فى قلبه قليلاً ، لكنه التفت إلى (حنوت) قائلاً فى جفاء :

ـ .. لا تظنى أن هذا سيقلل من جسامة فعلتك يا امرأة ، وسأرى ما يناسبك من عقاب عندما تعود الصغيرة ..

مضوا جميعًا ، وخلا البهو إلا من (حنوت) التى تابعتهم ببصرها حتى اختفوا ، فانهارت جالسة قرب العمود من جديد ..

وبكت فى حرارة ..

* * *

ـ تمثالى لم يكتمل بعد ..

قالها الرجل ذو الشعر المشعث ، واللحية السوداء المغبرة ، والحاجبين الكثين ، والعينين الناعستين نصف المغلقتين ، فى نبرة حالمة كأنها آتية من شخص آخر ، أو من عالم آخر ..

ـ أعلم أنه لم يكتمل يا (توت) ..

قالها السيد (مينا) مائلاً برأسه نحو الفنان الواقف أمام باب المرسم ؛ مانعًا بساعده الجميع من الدخول ، لكن أنفه اصطدم برائحة خبيثة ، فابتعد باشمئزاز إلى الخلف موقنًا بأن هذا الرجل الفنان ، لم يستحم منذ سنين !

ـ .. لكننا فى أمس الحاجة لرؤيته ، بضع لحظات فقط ..

قال (توت) فى عناد ، ولما ينفتح جفناه الناعسان :

ـ أعمالى لاترى النور ، ولاتراها الأعين قبل أن تكتمل فى نور عينى !

قال (مينا) فى نفاد صبر :

ـ .. (توت) .. الأمر لا يحتمل التأجيل ..

ـ أنا أمقت الإلحاح والجدل ، فلا تلحَ معى كثيرًا

بنفس النبرة الهادئة الخفيضة قالها (توت) ، فاحمرت أذنا (مينا) وهو يصيح فيه :

ـ هل نسيت نفسك أيها التعس ؟! إننى من ينفق عليك ويعول فنك وجنونك تحت سقف بيته ، وأنا آمرك بأن ترينا تمثال ابنتى فى التو واللحظة ..

قال (توت) دون أن يتبدل فى نبرته أو فى ملامحه شىء :

ـ آسف أيها السيد ، لكن شرطى معك كان واضحًا من البداية .. إننى لا أتلقى الأوامر من أحد إلا نفسى ..

ـ إن (سات) مخطوفة ؛ ونحن فى حاجة لاستعادتها ..

ـ من (سات) ؟!!!

كاد (مينا) ينفجر فى وجهه بالسباب والإهانات بعد أن استحالت أذناه إلى قطعتين من الجمر المشتعل ، لكن تربيتة على كتفه وهمسة من (محب) ...

ـ اتركه لى يا سيدى ، إنه فنان مثلى وقد نصل معًا إلى صيغة للتفاهم ..

.. جعلتاه يحجم ، ويضع فكرة إنقاذ ابنته من أسر الرمال فوق كل اعتبار آخر ..

ـ متى يكتمل تمثالك يا صاح ؟!

سأل (محب) (توت) وهو يتصدر الجمع الواقف أمامه ، فنظر إليه الأخير بعينيه النائمتين مليًا قبل أن يقول :

ـ لن يكتمل أبدًا ، كأى فن آخر !

ـ أتفق معك وأتفهمك ، من العسير أن يكتمل الفن برضاء الفنان ، خاصة حين يغيب مصدر الضوء الوحيد ، ذلك الذى ينير عتمة الوجدان ويشجى النفس العليلة ..

ـ ماذا تعنى ؟!

قال (محب) مغتبطًا يجذب انتباه هذا الكائن الغريب ، الذى تشى رائحته بوضوح عن أنه لا يستحم إلا لمامًا :

ـ الفنان لا يبدع إلا فى حالة عشق ، ولا يكتمل العشق أبدًا بغياب المعشوق ..

ارتفع جفنا (توت) رويدًا ، ونظر إلى (محب) نظرة طويلة ممتلئة قبل أن يقول :

ـ لكأنى أفهمك !

غمزه (محب) وقال باسمًا :

ـ صدق قلبك ، فقلب الفنان لا يكذب عليه أبدًا ..

قال (توت) :

ـ قلبى يحدثنى بأن النور عائد لا محالة ..

وقال (محب) :

ـ ويحدثك بأن لك يدًا عليا فى هذا ، إننى أسمعه ..

ـ ادخلوا ..

قالها (توت) وغاب خلف ستار مرسمه ، فى حين التفت (محب) إلى (مينا) الذى سقط فكه السفلى دهشة ، وسأل إذ تقدم نحو الستار :

ـ ما معنى هذا الذى كنتما تقولانه ؟!

أجابه (حورى) وهو يندفع داخلاً :

ـ لا تحاول أن تفهم يا سيدى ، عليك بتقبل هذه الأمور على علاتها !

وقالت (نفرو) إذ دخلت وراءه :

ـ لوهلة ظننت الأمر مُنتهٍ بالرفض ..

قال (محب) وكان آخر الداخلين :

ـ لكل باب مفتاحه !

ساروا خلف (توت) ؛ بين كتل الطين والأحجار والخزف والرخام وقوارير الألوان والسوائل ، حتى توقفوا فى النهاية أمام كتلة طولية مغطاة بقطعة من نسيج قطنى ملون ..

ـ فى سبيل النور .. أكشف عن نور .. لم ير النور !

تمتم بها (توت) أمام الكتلة المخفية عن أنظارهم ، ولاح عدم الفهم على كل الوجوه فيما عدا (محب) ، الذى حافظ على بسمته المتزنة ..

ـ .. احذروا حتى لا يعشى الضوء أبصاركم ..

قالها (توت) ثم جذب طرف قطعة النسيج فى سرعة ، واندلعت من حنجرة (مينا) شهقة سريعة ..

ـ (سات) !

عينا البقرة (حتحور) ..

ـ بديع ..

قالتها (نفرو) ..

.. وفم الهر (باستت) ..

ـ يا للمهارة ..

ندت عن (حورى) الذى ضيق عينيه محدقًا ..

.. وأنف (ماعت) الدقيق ..

ـ هذا فنان حقيقى ..

غمغم بها (محب) وقد تلاشت بسمته ، وتجلى الانبهار فى عينيه ..

.. وشعر (إيزيس) الأسود الطويل ..

لم يشعر (مينا) بنفسه وهو يتقدم ببطء من التمثال الجرانيتى الأصم ، ولم يشعر بنفسه وهو يرفع أصابعه متحسسًا الوجه البارد الأملس ، الذى حملت اتبعاجاته تفاصيل الشجن وتباريح الحنين ، ولم يشعر بنفسه وعبرة تفر من عينه لتحفر مجراها الملحى على جلده الذى أكلته السنون ..

كاد يحتضن التمثال من فرط ما شعر بصدقه وبقربه إلى حد التماس من ابنته الوحيدة ، أسيرة الرمال البعيدة ..

ـ سيد (مينا) ..

هتف به (محب) ..

ـ .. هلا أفسحت لى مجال الرؤية حتى يتسنى لى رسم الوجه ؟!

ـ لكأنى أراها أمامى الآن ..

غمغم بها (مينا) وهو يقاوم اهتزازات جسده المشحون بالرعود وبالعواصف ، والتفت إلى (توت) الواقف كالتمثال جوار التمثال :

ـ .. أنت بارع حقًا يا (توت) ، بارع وملهم ..

ردد (توت) كأنه يردد ما استظهره :

ـ فى سبيل النور .. كشفت عن نور .. لم ير النور ..

سأل (حورى) وهو يتحاشى النظر فى التمثال حتى لا يعجب به أكثر :

ـ هل هذا هو حجم الأميرة الفعلى ؟!

أجابه (مينا) وهو يعطى التمثال ظهره :

ـ أجل ، التمثال مصنوع بالحجم الطبيعى وهذا سر عبقريته ..

وتنحى ليترك المجال مفتوحًا أمام (محب) الذى شرع فى رسم الملامح ، بينما (نفرو) تراقب حركة يده الماهرة ، وتنقل بصرها بينه وبين (حورى) الذى سار نحو باب المرسم خارجًا ، بعد أن ألقى على التمثال نظرة أخيرة ..

وفى النهاية نظرت (نفرو) إلى (توت) .. ثم إلى تمثال (سات) الأصم ..

وتنهدت تنهيدة طويلة ، حارة ..

وجياشة بالمشاعر ..

★ ★ ★

وتنحى ليترك المجال مفتوحًا أمام (محب) الذى شرع فى رسم الملامح ، بينما (نفرو) تراقب حركة يده الماهرة ..

٤ـ ذئاب ..

ـ أتأخذ قليلاً من هذا ؟!

نظر (حاب) إلى الأميرة (سات) ، ورآها بصعوبة على ضوء القمر الشحيح المنبعث من بين فتحات الخيمة ، تبتسم فى الظلام وتمد له يدها بإناء من نحاس ..

ـ ما هذا يا مولاتى ؟!

سألها فى استغراب قلق ، فأجابته هازة كتفيها :

ـ لا أدرى ، أعطته لى تلك المرأة القوية فى الصباح ..

وكأنها رأت نظرته المتسائلة فى الظلام ففسرت أكثر :

ـ .. كنت قد أفقت من نومى الطويل شاعرة بألم لايطاق فى رأسى ، وإنهاك شمل جسدى كله من قمة رأسى حتى أخمص قدمى ، وبمجرد تناولى لهذا المشروب الغريب استعدت حيويتى المفقودة ، وتدفقت دماء الحياة من جديد فى عروقى الخاوية ..

هز (حاب) رأسه وغمغم :

ـ إن البدو بارعون فى صناعة هذه السوائل من أعشاب الصحراء ..

سمعها ترشف منه ، ثم تقول له مجددًا :

ـ خذ ، لم يبق إلا رشفة أو اثنتان !

ـ الشكر لك يا أميرة ، بالهناءة والشفاء ..

ـ إن طعمه مقبول ، ليس كعصير الرمان لكنه ليس كالحنظل .. خذ ، جرب !

ـ أشكر لك إلحاحك ، لكن .. كلا ، لا أريد شيئًا ..

ـ كما تحب ..

قالتها (سلت) ماطة شفتيها الجميلتين فى خيبة أمل، ورفعت الإناء إلى شفتيها لترشف آخر ما تبقى فيه من السائل ..

ـ تأخر الوقت ..

غمغم بها (حلب) وهو يحاول السيطرة على ارتعاش يديه ، ويجاهد لإيقاف جيوش النمل الزاحف تحت جلده ؛ والواقف على مشارف قلبه استعدادًا لالتهامه حيًا بالنبضات ..

وبرغم الخفوت الشديد سمعته (سات) ، فسألته فى اهتمام طفولى برىء :

ـ أى تأخير تقصد ؟! هل تنتظر شيئًا ؟!

أراد أن يطمئنها كذبًا لكنه لم يفلح ، ولعله أراد أن يشاركه أى مخلوق همومه ؛ حتى لو كان هذا المخلوق هو ابنة سيده ، فتنهد قائلاً :

ـ بالتأكيد يا مولاتى أنتظر .. أنتظر أن يتحرك أحد فى المدينة سعيًا إلينا ، لينتشلنا من الأسر ومن كارثة الغرق فى هذا اليم الذى ينتظرنا فى الصباح الباكر ؟!

ـ وما الذى ينتظرنا فى الصباح الباكر ؟!

ـ سيقتلوننا .. سيدفنوننا معًا فى الرمال لو لم يعد زوج تلك المرأة الأسير فى (طيبة) ..

لم ير (حاب) أمارات الفهم وهى ترتسم جلية على سحنة (سات) ، لكنه سمعها تقول :

ـ هذا هو الأمر إذن !

ـ ألم يخبرك أحد قبلى بمغزى وجودك هاهنا ؟!

تجاهلت الجواب عن سؤاله ، وسمعها تسأله فى لهجة لا تقدر خطورة الموقف :

ـ وهل يجب أن ننتظر حتى يسعى إلينا أحد ؟!

أجابها على الفور :

ـ بالطبع ، وهل فى يدنا ما نفعله سوى الانتظار ؟!

وذهل عندما سمعها تقول :

ـ أجل ، بيدنا أن نفعل الكثير ..

سألها فى وجل :

ـ ماذا تعنين يا أميرة ؟!

سمعها تهمس فى أذنه :

ـ الهرب ..

صاح فيها كمن قرصه ثعبان سام :

ـ ماذا ؟!

ـ ش ش ش ش ش ..

حضته على السكون فسكن ، وتابع قوله فى لهجة خفيضة تموج بالرعب :

ـ .. نهرب ؟! أى جنون !!

قالت (سات) وقد تألقت عيناها بفرحة المغامرة :

ـ الجنون هو بقاؤنا هنا بلا حول ولا قوة ، فى حين أننا نملك ـ على الأقل ـ خيار الفعل ..

قال (حاب) وقد أقنع نفسه بأن هذه ليست إلا نزوة عابرة :

ـ مولاتى .. هذه ليست لعبة ..

خرج صوتها معبأ بالحماسة دون أن يرتفع مستوى الهمس ، وهى تقول :

ـ وهذا بالتحديد ما يجعلها تجربه فريدة ، جديرة بأن تخاض !

ـ التصرف الخاطئ فى أمر كهذا لايعنى سوى الهلاك .. الهلاك المحقق ..

ـ اختر موتك خير من أن يجبرك أحد عليه !

وسمعها تنهض من مجلسها على البساط الخشن ، فتعلق الذعر بحباله الصوتية وهو يهتف بها فى همس :

ـ مولاتى .. صدقينى ، أنت لاتقدرين مدى خطورة هذه المرأة !

وانهال التقريع على أم رأسه فجأة :

ـ المرأة ؟! أكل ما يخيفك هو هذه المرأة ؟! يا للعار ! أين أبى الآن ليعلم أى جنود أشاوس يحرسون داره المنيعة !

حاول (حاب) أن يتكلم ، لكن ..

ـ أ .. أنـ .. أعنى .. أنـا لم أعن أن ...

.. (سات) لم تتح له هذه الفرصة مطلقًا :

ـ لم يكن من المفروض أن أتوقع منك ـ أنت بالذات ـ أقل من هذا ، بعدما رأيتها وهى تطرحك أرضًا ـ كمسلة من طين ـ صباح أمس ..

وأتت كلمتها الأخيرة كالطعنة :

ـ .. رعديـد ..

نطقتها بازدراء بالغ ، محطمة حتى قدرته على الدفاع عن نفسه ..

فهو ـ وبكل أسف ـ أول من يعرف أنها محقة ..

وأنه ـ بالفعل ـ رعديد !

حاول أن يتكلم :

ـ يا مولاتى إن ...

.. ومن جديد لم تمنحه هى هذا الترف :

ـ سأحاول أنا الفرار بمفردى ، ولتبق أنت هنا أيها الفارس المغوار فى انتظار من يغيثك ..

نهض بسرعة خوفًا من أن تتمادى الطفلة الكبيرة فى العناد ، وتأخذها العزة بتنفيذ وعيدها ، وهتف فى محاولة أخيرة للكلام :

ـ كلا يا مولاتى الأميرة .. كلا ..

ومن جديد قاطعته هى فى حسم وحزم ، وهى تواجهه فى عتم الليل :

ـ سؤال واحد : هل سترافقنى أم لا ؟!

وأيقن (حاب) أنه لم يعد يملك حق الاختيار ..

وحجب عنه الليل بسمتها الراضية ، التى ترتسم على وجهها دومًا كلما نجحت فى تحقيق مبتغاها ..

بأى وسيلة !

★ ★ ★

ثلاثة خيول تتهادى فى سيرها الوئيد على رمال الصحراء ..

ـ لم يبق الكثير على نهاية الليل ، الفجر على الأعتاب ..

قالها (محب) وهو يرفع رأسه نحو نجوم ترصع صفحة السماء الحالكة ، لكن أحدًا لم يهتم بالرد عليه ، وربما لم يسمع رفيقاه العبارة من الأصل ..

توقف جواد (حورى) السائر فى الأمام ، فتوقف جوادا (محب) و(نفرو) خلفه بالتبعية ، والتساؤل يلوح فى عينى الأخيرة الجميلتين ..

ـ الواحة الكبيرة فى هذا الاتجاه ..

قالها (حورى) بعد تحديق طال فى نجوم السماء ، مشيرًا بسبابته نحو جهة يكتنفها الظلام الحالك ، كما يكتنف كل شىء من حولهم فلا يُظهر شيئًا ..

ـ قريبة للغاية !

قالها (محب) فى سخرية خفية ، لم ينتبه لها ـ أو تجاهلها ـ (حورى) وهو يتابع فى لهجته التقريرية الجادة على الدوام :

ـ عشرات الأذرع ليست بالمسافة البعيدة !

قالت (نفرو) وهى تشير إلى جهة أخرى مظلمة ؛ لايُرى على امتدادها إلا السواد :

ـ معنى هذا أن مضارب (التمحو) تقع هناك تقريبًا ..

رفع (محب) حاجبيه وهو يسأل بنفس السخرية الخفية :

ـ هل أنا الوحيد الأعشى ها هنا ؟!

بينما أومأ (حورى) بالإيجاب ، وقال مؤيدًا دونما التفات إليه :

ـ بالفعل ، خلف تلك التبة لو استطعتما رؤيتها ، لايفصلها عن الواحة سوى بحيرة رملية واسعة ..

ومع حديثه بدأ الجواد فى استئناف سيره الهوينى نحو الجهة المزعومة ، وفى إثره الجوادان الآخران كأن خيطًا سحريًا يربطهما به ..

ـ وما جدوى البدر إذن إن لم يمنحنى القدرة على رؤية تبة شامخة كهذه ؟!

قالها (محب) وجسده يهتز مع إيقاع سنابك خيله ، وأردف فى وجد رافعًا عينيه الخضراوين إلى القمر المكتمل كأنه يناجيه :

ـ .. البدر الشاحب فى كبد الليل ، كأحلامى البعيدة !

وران الصمت بعدها لمسافة طالت ، حتى عادت الخيول تقف ، وعاد (حورى) يقول :

ـ هذا فراق بينى وبينكما .. كما تقتضى خطة حكماء (لوتس) ، ستكملان أنتما المسير حتى نخيل الواحة المترائى هناك ..

.. وأشار إلى بضعة خطوط طولية شاحبة ألقى القمر بخيوطه الفضية على قممها المتفرعة ، وواصل مستديرًا بفرسه إليهما :

ـ .. أما أنا فسأقصد المخيم من أعلى التبة ، وليؤد كل منا دوره على أتم ما يرام منه ..

مد (محب) له يده بشىء لم يتبين كنهه فى الظلمة :

ـ خذ هذين معك ، فلربما احتجت لأى منهما !

ولم ير (محب) قطوب حاجبى (حورى) الذى سأله مستغربًا :

ـ ما هذين ؟!

تبسم (محب) مجيبًا :

لفافتا من البردى ، على أحدهما رسم للأسيرة ، وعلى الآخر رسم توضيحى للمخيم كما وصفه جندى الحراسة العائد بالتفصيل ..

اقترب (حورى) بحصانه وأخذهما ، وحاول أن يتفوه بكلمة شكر أو امتنان ؛ لكن الكلمات أعلنت عصيانها عن الاستجابة إليه ..

ـ .. ربما لا تكون فى حاجة إليهما ..

ـ قالها (محب) وبسمته تتسع ، ثم تابع وهى تزداد اتساعًا :

ـ .. لكنى أحاول أن أكون ذا جدوى أكبر فى مساعدتك ، فالاعتماد الأكبر عليك ـ كما هو دائمًا ـ فى نجاح المهمة ..

ـ أشكرك ..

طاوعه لسانه أخيرًا على النطق بها فى اقتضاب ، وقالت (نفرو) فى توتر محاولة استجلاء ملامح (حورى) فى الضباب الأسود المحيط من كل الجهات :

ـ فعلاً .. مهمتك جد صعبة !

جذب (حورى) لجام حصانه ، فارتفع قائماه الأماميان وهو يصهل فى قوة ..

ـ لكنها ليست مستحيلة ، أراكما ..

قالها ومضى إلى وجهته دون كلمة زائدة ..

وعندما أرسل الليل عباءته المدلهمة على مرآه ، وتلاشى الصوت المنتظم لركض جواده ، عندها فقط ، نطق (محب) مغمغمًا فى عمق تكلله الكآبة ، كأنما لم يكن هو من يمزح منذ قليل :

ـ شجاع هذا الفتى .. مقاتل وفارس صنديد منذ نعومة أظفاره ..

ـ وأنت ؟!

فاجأ السؤال (محب) من (نفرو) بالذات ، وفى هذا التوقيت بالذات ، فالتفت نحوها سائلاً فى خفوت مندهش :

ـ أنا ؟!

ـ نعم أنت ..

قالتها مؤكدة ، وأعادت سؤالها بصيغة أخرى :

ـ .. ماذا عنك ؟!

داعب الشعيرات التى تكسو مؤخرة عنق حصانه ، وشرد ببصره فى المجهول ، قبل أن يهز كتفيه ، ويرفع إليها بصره قائلاً فى محاولة بائسة للابتسام :

ـ لستُ إلا فنانًا بلا حول ولا استطاعة ..

دارت بحصانها حوله ، وهى تقول مبتسمة بدورها فى صفاء :

ـ بل لديك قوة لا يستهان بها ..

رفع إليها عينين تتساءلان ، فأجابته :

ـ .. قوة الخلق ، واستطاعة الإبداع .. ولعمرى فهو ليس بالشىء اليسير !

لكز بطن جواده بقدمه فانطلقا سائرين نحو النخيل الدانى ، و(محب) يحاول العثور على شىء يقوله ، حتى وجد فى النهاية ما يعبر به عما يعتلج فى صدره :

ـ وما نفع قوتى هذه فى الميدان ؟!

أتاه الجواب على الفور ، كأن (نفرو) أعدته مسبقًا :

ـ لكل ميدانه !

هز رأسه بالإيجاب ، ثم قال مستخفًا :

ـ ميادين القتال والفروسية تخطف الأبصار ..

وأردف بعد هنيهة فى لهجة ذات مغزى :

ـ .. والقلوب أيضًا ..

لم يدر هل انتبهت لمقصده أم لا ، لكنه وجدها تقول مبادلة استخفافه بأفضل منه :

ـ حقًا ؟؟ ظننت الفنون قادرة على هذا أكثر !

قال :

ـ ليس دائمًا ..

سألته ناظرة نحوه :

ـ ومن أدراك لتتحدث بهذه الثقة ؟!

ـ أتحدث عما أشعر به ..

ـ وهل يصدقك شعورك هذا دومًا ؟!

ـ فى الغالب !

ـ ألم يخذلك ولو لمرة واحدة ؟!

ـ ربما .. لا أذكر ..

ـ لا تتحدث إذن بكل ثقة كأنه لم يفعل أبدًا !

ـ (نفرو) .. هل ..

وتوقف لسانه عن الحركة على الرغم منه ، جاهد ليحركه ببقية ما أراد قوله لكنه فشل ..

ـ هل ماذا ؟!

حاول من جديد أن ينطق ، لكن لسانه لم يستجب كأنه تجمد بين فكيه ..

التفتت إليه (نفرو) قائلة فى فضول :

ـ أكمل سؤالك .. ماذا كنت تريد أن تقول ؟!

زفر نارًا ، وقال مشيحًا بكفه وماطًا شفتيه :

ـ لا عليك .. ليس أمرًا مهمًا !

ـ أكمل حديثك وسأرى أنا إن كان أمرًا مهمًا أو تافهًا ..

ـ نسيت .. لم يكن سؤالاً على درجة من الأهمية والإمانسيته !

سألته (نفرو) والتكذيب يفوح من لهجتها :

ـ نسيت حقًا ؟!

قال متحاشيًا النظر نحوها حتى لاتفضحه عيونه :

ـ ولماذا أدّعى ؟!

ـ سل نفسك !

ـ سأحاول تذكره وسأقوله متى تذكرت ..

ـ دعواتى بقوة الذاكرة !

لم يحتمل لهجتها التي تدفعه إلى أعتاب اعتراف يهرب منه ، فغير دفة الحديث قائلاً وهو يشير إلى نخلة قريبة للغاية :

ـ ها قد وصلنا إلى تخوم الواحة حيث يفترض بنا القيام بدورنا ..

تقبلت هروبه من الحوار بصدر رحب ، وشملهما السكوت حتى توقف الجوادان أسفل النخلة ، فترجل (محب) وأخذ يساعد (نفرو) على النزول ..

وخفق قلبه مضطربًا لقربه منها إلى هذا الحد ..

سحقًا لك من قلب !

تردد صداها فى وديان أعماقه عاليًا ، وانعكس هذا على عينيه فسارع يشيح بنظره عنها ، متجهًا إلى الجراب المعلق على ظهر حصانه ..

ـ حان وقت التنفيذ ..

سألته (نفرو) وهى تعدل من هندامها :

ـ هل تعتقد أن (حورى) قد وصل الآن إلى المخيم ؟!

واعترى القلق نبراتها وهى تكمل :

ـ .. فى سلام ؟!

لأن ظهره كان مواجهًا لها ، لم تلحظ علامات الألم التى ارتسمت على وجه (محب) ، قبل أن يجيبها فى نبرة لامبالية مصطنعة :

ـ إننا مكلفون بتنفيذ دورنا فى أى الأحوال ..

ثم استدار نحوها ممسكًا بشىء ما فى قبضته ؛ أخرجه من الجراب وأكمل :

ـ إلا أننى أعتقد أن (حورى) قد وصل فى أمان ، أخبرتك أنه مقاتل عتيد مذ كان فى المهد صبيًا !

تناست الأمر مؤقتًا ، وعقدت حاجبيها محاولة اكتناه هذا الذى يمسك به (محب) ، والذى يخفى الظلام تفاصيله الشكلية عن ناظريها ، ثم إنها سألته وعبوسها يزداد :

ـ ما هذا ؟!

اقترب منها باسمًا ، وكأنه طفل يعرض على صديقته لعبته الجديدة قال :

ـ انظرى إليه .. جميل ، أليس كذلك ؟!

جسم معدنى ، له شكل انسيابى أشبه بالمخروط المنبعج أو بمحارات اللؤلؤ الكبيرة ، والجزء العريض منه مقسم إلى أسطوانات طولية عديدة تشبه أنابيب دقيقة ..

أمسكت به ورفعته بالقرب من عينيها ، لكنها فشلت فى معرفة كنه هذا الشىء الغريب !

ـ .. خمنى ماذا يكون ؟!

هزت كتفيها وقالت فى حيرة :

ـ .. ومن أين لى أن أعرف ؟!

ضحك فى غبطة ، ورأته (نفرو) طفلاً كبيرًا لم يهذب العمر مشاعره البكر !

استعاد الشىء من قبضتها ، وقال مغالبًا ضحكه البرىء :

ـ .. هذا بوق !

كاد حاجباها أن يصبحا واحدًا وهى تردد فى استنكار :

ـ بوق ؟!

عاد يضحك وهو يقول :

ـ أجل ، بوق .. لكنه لايستخدم فى الزمر .. شكله الغريب هذا ابتكار من صنعى يجعل له القدرة على تكبير الصوت مرات كثيرة ، وتعدد مسارات أنابيبه هذا يعطيه قدرة فريدة على جعل السامع يظن أن من يتحدث قبيلة ، لامجرد شخص واحد يقف خلفه ..

هزت رأسها فى تفهم ، وقالت فى إعجاب :

ـ فكرة بسيطة لكنها فعالة ، أنت مبدع بالفعل يا عزيزى ..

قال ممتنًا ونبرته تفيض بمشاعر جمة :

ـ الشكر لك .. يا أجمل من الجمال نفسه !

تنحنحت ، وقالت مشيرة إلى البوق فى اهتمام تدارى به خفرها :

ـ سيجعل الأمر هذا أشبه بقطيع حقيقى من الذئاب !

جاراها فى اهتمامها قائلاً :

ـ أنت لم ترى بعد موهبتى فى انتحال الأصوات ..

قالت وهى تعقد ساعديها أمام صدرها :

ـ كلىّ شوق !

ضحك حتى ظهرت نواجذه ، ثم قال فى مرح تدفق من منابع خفية فى أعماقه :

ـ دعينى أقلد لك ما تحبين من الأصوات .. نباح الكلاب .. مواء القطط .. هديل الحمام .. دعاء الكروان .. خوار الثور .. خرير (حابى) .. هبوب الرياح .. هزيم الرعد .. تحطم الزجاج .. أم أقلد لك صوت المعلم (تحوت) ، أو القائد (تاوى) ؟! ماذا عن صوت فارسنا الأوحد (حورى) ؟!

وفرقع بإصبعيه متابعًا وعيناه تلتمعان جذلاً :

ـ .. أو صوتك أنت نفسه ؟!

ثم إنه قال :

ـ .. بل لديك قوة لايستهان بها .. قوة الخلق ، واستطاعة الإبداع ، ولعمرى فهو ليس بالشىء اليسير !

اتسعت عينا (نفرو) ذهولاً وهى تسمع صوتها من فم (محب) ..

نعم ، هذا صوتها بالفعل دون أدنى مبالغة !

ـ .. ما رأيك ؟!

غمغمت ذاهلة :

ـ غير معقول ..

سأعتبر هذا ثناءً آخر ..

ـ حنجرتك ألين من جلد طفل !

ـ أخجلت تواضعى ..

ثم إنه سألها مستعيدًا مرحه :

ـ .. من تحبين أن أقلده لك ؟!

أجابته مستعيدة رباطة جأشها :

ـ ذئب ..

وأردفت فى حزم :

ـ .. فالعمل أولاً ، ولندع اللهو لوقت لاحق ..

هز رأسه بالإيجاب وقال منحنيًا فى حركته التمثيلية المعتادة :

ـ أوافقك يا جميلتى ..

وقرب البوق من فمه مغمغمًا :

ـ .. وليستعد هؤلاء المنشقون عن (التمحو) لهجوم ذئاب الصحراء الجائعة ، الأشرس من أن تصفهم الشراسة وحدها ..

وعوى قطيع من الذئاب عبر البوق ، لتهتز أركان الصحراء .. بالصدى والخوف ..

★ ★ ★

نفخت فى الجمر المشتعل فتألق الضوء البرتقالى الخافت على صفحة وجهها الحاد ، وقلبت فوق الموقد المحفور فى الرمال ذلك الجسم الطويل الذى تمسك به ..

لم تطاوعها رئتاها على التنهد ، ولم تطاوعها شفتاها على التراخى ، ولم تطاوعها أطرافها المقشعرة على الثبات ..

منذ غاب (خاتى) والدنيا متوقفة بالنسبة إليها حتى يعود ..

منذ غاب الزوج والأخ والحبيب والفارس وكل شىء مؤجل ، الفرح والحزن والضحك والبكاء والراحة والتعب والحب والكراهية ..

كل ما يحويه هذا العالم فى إجازة حتى تعود يا أغلى الناس ، أو حتى يأتينى خبر مو ....

كلا ..

لا تقوى على النطق بها ، ولا حتى على مجرد التفكير فيها ..

للآن لا تتصور حياتها بدونه ، ولا تجرؤ على تخيل المكان دون وجوده ، أو دون انتظار أوبته من رحلة صيد غزلان ، أو مطاردة قطيع ذئاب ، أو معركة حامية فى الجوار ..

ربما لا يتصور أحد أنها تخفى خلف قناع القوة والحزم

قلب أنثى ؛ يقتله الشوق واللهفة لوليفه البعيد ، وربما لا يتصور أحد أن روحها تسكن جسد (خاتى) ، وأن فى غيابه الأبدى انهيارها التام ؛ لا أقل !

نعم ، ربما لا يتصور أحد هذا ..

لكنها الحقيقة ..

لا تدرى ما الذى قد يحدث لها لو أتاها خبر مثل هذا ، وتجاهد لنفض المشهد القاسى عن رأسها ، غير أنه يظل يطاردها ويصر على خلع قلبها من مكانه ..

ماذا لو كان الفراعين قد أجهزوا عليه وصحبه ؟!

ماذا لو كانوا قد صرعوهم فى سجنهم وهم عزل من السلاح ؟!

كيف تغدو حياتهم بعدها ، وكل من فى المخيم نساء وأطفال ورجال لا قبل لهم بحمى الوغى ؟!

شعرت بالدماء تفور فى عروقها ، وتغلى فى مرجل رأسها ..

تمتمت فى نبرة آتية من غياهب الجحيم :

ـ وقتها لن تكفينى الصغيرة ثأرًا لك يا (خاتى) ، ولكم

يا خيرة رجال (تمحو) .. وقتها سيكون الثمن باهظًا بهظ أرواحكم .. ولن يقل عن دم ملكى أزرق نبيل ..

قلبت الجسم الطويل فوق الجمرات ، وعيناها تحدقان فيه ، كأنهما تستلهمان منه ومن النيران طاقة غضب معربد كاسح ..

ـ (لوكا) ..

هتف (ونى) مناديًا إياها وهو يدلف إلى خبائها الكبير ، وردت هى نداءه دون أن تتحرك من مجلسها أمام الموقد :

ـ ماذا ؟!

نظر إليها (ونى) فى تعجب وقال :

ـ ظننتك نمت !

ـ جافاتى المنام ، كلما وضعت جنبى رأيته أمامى ..

غمغمت بها كالمحدثة نفسها وهى تواصل تقليب ماتمسك به ، فقطب (ونى) وهو يسألها :

ـ ما هذا ؟! ماذا تفعلين ؟!

واقترب ناظرًا ، ليرتفع حاجباه دهشة وهو يهتف :

ـ .. سهم (خاتى) ؟!

رفعت هى السهم الطويل ذا الرأس الذهبية الحادة بين عينيها ، وقالت :

ـ أجل ، سهم (خاتى) !

هتف بها منفعلاً :

ـ ما الذى جعلك تخرجينه من مخبئه ؟! أنت تعلمين قبلى أن هذا السهم بالذات محظور استعماله لغير صاحبه ..

قالت كالمغيبة :

ـ أعلم .. لكنى أستشعر خطرًا فى الطريق ..

ـ أى خطر يا (لوكا) ؟! خطورة هذا السلاح بلاحدود .. (خاتى) نفسه كان يخشى استخدامه ، بعد أن تلا فوقه ساحر (التمحو) الأكبر تعويذة تجعله لايخطئ هدفه أبدًا ، والموت السريع فى الآن واللحظة هو نصيب التعس الذى سيصاب به ولو بالصدفة !

غمغمت (لوكا) فى لهجة مخيفة :

ـ وهو المراد ..

نظر إليها (ونى) مليًا ثم قال فى شىء من الرهبة :

ـ كثيرًا ما يخذلنى عقلى فى فهمك يا (لوكا) ..

قالت وقد التقت عيناها فوق رأس السهم :

ـ لم يكن يفهمنى فى هذا العالم سواه ..

وأغمضت عينيها هامسة ، ومقربه السهم من وجنتها :

ـ .. متى تعود يا (خاتى) ؟!

احترم (ونى) فى وقفته الثابتة حزنها وذكرياتها ، فلاذ بالصمت ؛ حتى انفتح جفناها فجأة ، وسمعها تسأله مستعيدة صرامتها :

ـ لم تخبرنى فيم مجيئك لى فى مثل هذا الوقت ؟!

ـ إحم .. نعم .. لا شىء .. أعنى .. لقد جاءنى حارس خيمة الأميرة (سات) ..

قاطعته :

ـ تقصد أسيرتنا !

كان تعود على وقوفها عند هذه الأمور الصغيرة ، فصحح قوله وأكمل :

ـ نعم .. أقصد حارس خيمة الأسيرة (سات) ، جاءنى منذ قليل ليخبرنى بأن الأمـ .. أقصد الأسيرة تتبادل حوارًا حاميًا مع

الحارس المعتقل (حاب) ، وهو ـ حارس الخيمة أعنى ـ لايفهم شيئًا مما قالاه لجهله بلغتهما ..

أشاحت عنه بوجهها وهى تقول فى عدم اكتراث :

ـ دعهما يهرطقان حتى الصباح ..

قال (ونى) ولهجته تستعيد ترددها الدائم :

ـ ربما .. أعنى .. ألا يحتمل أنهما يخططان لشىء ما ؟!

ـ وما الذى يملكان فعله ونحن نحكم عليهما سيطرتنا ؟!

أراد (ونى) أن يرد عليها بشىء لكنه ابتلع لسانه عندما ارتفع الصوت ..

قطيع يعوى ، لتهتز أركان الصحراء بالصدى والخوف ..

ـ ذئاب ..

هتف بها (ونى) فى فزع لم يفلح فى إخفائه ، بينما نهضت (لوكا) وعلى وجهها ترتسم علامات القوة ، وسمات التحدى فى أعتى صورها ..

ـ .. لقد عادوا ليهاجموننا يا (لوكا) برغم أن (خاتى) والرجال قد تصدوا لهم منذ شهر أو أكثر .. لقد كنت محقة يا (لوكا) .. إنه خطر جسيم لم يكن ليخطر لنا على بال !

نفثت (لوكا) أنفاسًا غاضبة، قبل أن تقول بنبرة صخرية :

ـ جاءوا لمصيرهم الأسود ..

وسارت نحو فراشها القماشى المعد فوق الرمال ، لتجمع أسلحتها المبعثرة فوقه ، وهى تقول فى أمر :

ـ هيا يا (ونى) .. اجمع من تبقى من الرجال وأخبرهم بأن يستعدوا ..

صاح (ونى) فى تردد جبان :

ـ يستعدوا لماذا يا (لوكا) ؟!

قالت (لوكا) وهى تثبت درعها المعدنى فوق صدرها :

ـ سنذهب إليهم لنلاقيهم فى الصحراء ..

ـ من ؟! الذئاب ؟!

ـ أجل .. سنفعل ما كان (خاتى) ليفعله لو كان بيننا ..

وأخذت تلملم الأسهم المتناثرة فى كنانتها ، متابعة :

ـ .. سنخرج لهؤلاء الوحوش ، ونعيدهم إلى أمهم الصحراء التى بصقت بهم فى وجوهنا ..

ـ لكن يا (لوكا) ..

تابعت دون الالتفات إليه ، وهى تضع الكنانة على ظهرها ، وتضع سيفًا فى غمد ، وتثبته فى حزام حول خصرها :

ـ أسرع واجمع الكل ، لا تترك فى المخيم سوى حارس خيمة الأسيرة ومن معها ..

حاول أن يقول شيئًا ، لكنها رفعت ناظريها إليه بعد أن وضعت خنجرًا صغيرًا أسفل سروالها ، وصاحت فيه كالعاصفة :

ـ اذهب ونفذ فى الحال ..

ـ على الفور يا (لوكا) ..

وغادر (ونى) فى الحال تحاشيًا للمزيد من غضبها ، بينما سارت هى عدة خطوات حتى توقفت ..

وعندما تصاعد العواء للمرة الثانية ، كانت قد انحنت ملتقطة السهم ذا الرأس الذهبية ..

سهم (خاتى) السحرى ..

وفكرت للحظة : أهذا هو حقًا الخطر الذى كانت تستشعر دنوه ؟!

تابعت دون الالتفات إليه ، وهى تضع الكنانة على ظهرها ، وتضع سيفًا فى غمده وتثبته فى حزام حول خصرها : — أسرع واجمع الكل ..

أم أن هناك خطرًا آخر من نوع آخر لم يظهر بعد ؟!

لم تجد جوابًا ، لكنها قبضت على السهم بكل قوة ، حتى كاد ينكسر بين أصابعها ..

★ ★ ★

ـ والآن ؟!

سألت (نفرو) بعد أن مر وقت على المرة الثانية التى قلد فيها (محب) صوت العواء ..

ـ لا شىء ..

قالها (محب) هازًا كتفيه فى بساطة ، وسار إلى جراب حصانه واضعًا البوق بداخله ، ثم تابع فى بعض الارتياح :

ـ .. سنبتعد عن هذه المنطقة حتى لايجدوننا إذا ماخرجوا للقاء الذئاب ، وهكذا ينتهى دورنا !

ابتسمت فى تهكم ، وقالت :

ـ هذا يشعرنى بأهميتى حقًا !

ضحك (محب) ، وقال :

ـ لاتقولى هذا ولاتبخسى نفسك حقها .. إن دورك مؤثر

فى عملنا كثالوث شئنا هذا أم أبينا .. ولا تنسى أننا فى كل مهمة نحتاج إليك بصورة أو بأخرى ..

هزت رأسها موافقة ، وقالت دون أن تزول رنة التهكم من نبراتها :

ـ نعم ، إن دورى دائمًا خارج الخطط الموضوعة !

قال معتليًا ظهر حصانه :

ـ ومنذ متى سارت الأمور بحسب خطة وضعت مسبقًا ؟! دائمًا يحدث شىء خارج الحسبان ليقلب الأمور رأسًا على عقب ..

.. لكنه انقلب من الجهة الأخرى وسقط على الرمال منكفئًا على وجهه !

وضحكت (نفرو) مرغمة عندما رأت المنظر ، ولم يملك هو إلا أن يشاركها الضحك برغم الغصة التى استشعرها فى حلقه ..

ساعدته على النهوض قائلة :

ـ لا يجب أن تمثل ما تقوله فى المرة القادمة !

قال نافضًا الرمال عن ملابسه :

ـ أحب التأكد من وصول المغنى لمحدثى بختلف الطرق ..

قالت وهى تشبك كفيها أمام حصانه :

ـ دعنى أساعدك على امتطائه ..

قال ناظرًا فى ملامحها الجميلة :

ـ أشكرك لكن .. من المفترض أن يكون هذا دورى أنا !

هزت كتفيها وقالت :

ـ لا مشكلة لدى ، لقد تدربت على امتطاء الخيول جيدًا فى (منف) ..

ـ أول ما سأفعله عند عودتى لجبل (طيبة) الغربى هو التدرب على هذا من البداية ..

ـ هلم .. يداى أتعبتانى !

قالتها (نفرو) ولما تفك تشابك أصابعها ، فحسم (محب) أمره وقرر أن يفعل ..

لكنه توقف قبل أن ترتفع قدمه من فوق الأرض ..

وكذا (نفرو) فكت تشابك أصابعها دون أن تشعر ..

ـ ما هذا ؟!

سألت فى وجل شديد ..

ـ ش ش ش ش ..

أسكتها (محب) وأرهف السمع ، عندها تعالى للمرة الثانية ذلك الصوت ..

قطيع يعوى ، لتهتز أركان الصحراء بالصدى والخوف ..

قطيع حقيقى هذه المرة !

ـ ذئاب !

شهقت (نفرو) وقالتها ، وأمسك (محب) بمعصمها هاتفًا :

ـ لابد أن الصوت المصطنع قد جذبها إلى هنا !

تجلى الفزع آيات على وجه (نفرو) وهى تهتف :

ـ يا للمصيبة ! ماذا سنفعل ؟!

ولم يجبها (محب) ، فقد أخذ يتلفت حوله ممعنًا النظر ..

ولم يجبها (محب) ، لأنه لمح فى الظلام كرات لامعة صغيرة تلمع ..

كرات لامعة تحيط بهما فى دائرة هما مركزها ..

دائرة تضيق رويدًا .. رويدًا ..

دائرة من ذئاب جائعة ..

أشرس من أن تصفهم الشراسة وحدها !

★ ★ ★

٥ ـ هـروب ..

راح حارس خيمة الأميرة يرمق المدى البعيد الذى أضاءته أضواء مشاعل القوم ، وازدرد لعابه فى صعوبة شاعرًا بالوحدة المخيفة فى هذا المخيم الواسع .. وحيدًا بلا سند أو رفيق سوى نساء نائمات ، أو أطفال يتوسدون أحضانهن ..

يا لها من ليلة ليلاء !

إنه شاب يافع بلغ مبلغ الرجال ، لاقبل له بقتال أو طحن ، ولولا الوضع الحرج الذى تمر به العشيرة هذه الأيام لكان مازال يحمل المياه من البئر إلى الخيام ، أو يرعى الغنم فى فيافى الصحراء الواسعة ..

تبًا !

صاح بها محنقًا فى أعماقه وهو يركل حجرًا دانيًا من قدمه ، ونظر إلى الرمح القابضة عليه يده فى كراهية ، ثم ..

ـ أنت يا ....

لم يفهم النداء ، لكنه فهم أن الحارس المعتقل يناديه من الخلف عبر مدخل الخيمة التى يقوم بحراستها ، فاستدار إليه راسمًا على وجهه تعبيرًا يشى بالقسوة وقائلاً بلغة (التمحو) :

ـ « ماذا تريد أيها الـ ؟!

لم يكتمل سؤاله ..

فجأة أظلمت الدنيا أمام ناظريه ، وهوى ساقطًا على الأرض كجلمود صخر ..

وبكل ذهول الدنيا حدق فيه (حاب) ، ثم نقل بصره إلى الإناء النحاسى الذى انهال به فوق أم رأسه ، غير مصدق أنه قد فعل هذا !

ـ رائع ..

أتى الصوت من الأميرة (سات) التى قالتها فى غبطة وهى تخرج من الخيمة ، ثم إنهال نظرت للفتى الساقط ، وتابعت مستحسنة :

ـ .. لقد أجهزت عليه بضربة واحدة ..

وصفقت فى جذل ، كأنهما يمارسان لعبة ممتعة ..

ـ نعم ..

غمغم بها (حاب) مشدوهًا ..

ـ .. لقد فعلتها .. أخيرًا !

ـ سأخبر أبى عندما نعود ليكافئك بما تستحق ..

لاح شبح بسمة على شفتيه ، لكنه سارع بنفضه قائلاً فى جدية ، مستعيدًا فى عقله جدية و حرج الموقف :

ـ علينا أن نسرع بالذهاب من هنا ، قبل أن يعودوا من مطاردة الذئاب ..

سألته فى انبهار :

ـ سنأخذ أحد أحصنتهم ونسابق به الريح نحو (أبيدوس) ..

قال متقمصًا شخصية فارس شجاع :

ـ نعم ، إننى أعرف أين يربطون خيولهم .. رأيت الرِّباط مع (تاى) صباح اليوم .. هيا بنا يا مولاتى ..

وانطلقا بين الخيام ..

ـ كنت أتمنى أن يتغير شىء فى حياتى النمطية ، ولم أكن أعرف أن الأمنيات تتحقق بهذه السرعة !

ـ ماذا تقولين يا أميرة ؟!

ـ لاشىء .. أقول إن ما نحن فيه لم يكن ليخطر لى على بال أبدًا ..

ـ ماذا أقول أنا إذن ؟!

.. حتى وصلا إلى الرباط .. الخاوى على عروشه إلا من التبن ، وحبال الربط المفكوكة !

ـ رباه !

شهق (حاب) ثم نطق بها مأخوذًا ، وهو يتوقف رامقًا المنظر الرهيب ..

وتبخرت كل الشجاعة التى اكتست بها ملامحه ونبراته فى لحظة ..

سألته (سات) لاهثة من الركض :

ـ أين الخيول ؟!

هتف وهو يدير عينيه إلى المدى البعيد ، حيث المشاعل التى يحملها الخارجون تبتعد إلى أطراف الواحة الكبيرة :

ـ من الجلى أنهم استقلوها كلها .. لم يتركوا ولو جوادًا واحدًا ..

قالت وعيناها تتسعان :

ـ لم يكن هذا فى الحسبان ..

قال (حابى) والخوف يمتطى كل خلجة من خلجاته :

ـ ولن يمضى الكثير من الوقت حتى يعودوا ويكشفوا فعلتنا ، وعندها ..

لم يطاوعه لسانه على المتابعة ، لكنه التفت إلى (سات) ، ناظرًا إلى ملامحها الغارقة فى الطفولة والبراءة ، وقال هازًا رأسه يمنة ويسرة :

ـ .. ما كان يجب أن أطيعك فى هذا الجنون أبدًا ..

قالت وقد استبد بها الإحساس بالعجز والرغبة فى البكاء :

ـ ليس هذا وقت اللوم ، دعنا نفكر فى هذه المأساة التى نحن فيها ..

قال فى سخرية معجونة بالمرارة :

ـ لا أظننا سنقطع الصحراء سيرًا ..

وارتفع عواء الذئاب من بعيد فأضاف يائسًا :

ـ .. خاصة فى وجود هذا الخطر الذى تسمعينه ..

أرادت أن تقول شيئًا ، من باب العناد والإصرار أو من باب الحماقة ربما ، لكن الصوت الذى تعالى من خلفهما أسكتها ..

ـ تريدان الهرب .. هه ؟!

.. لم يفهما اللغة لكنهما استدارا ، ورأيا الفتى ذا الشجة التى تزين رأسه بالدم والرمل يقف شاهرًا رمحه الطويل فى مواجهتهما ..

ـ .. حظكما سيئ ، وحظى حسن !

رفعت (سات) عينيها المغرورقتان بالدمع نحو (حاب) ، كأنهما تسألاه الصفح أو التصرف ، وعض الأخير على شفتيه ، فى ندم لم يعد يجدى ..

صحيح أنهما لا يفهمان من حديث الفتى حرفًا ، لكن الأمر أوضح من أن تفسره كلمات ..

وهما مقبلان على كارثة عندما تعود المرأة ذات القلب القاسى والعقل المجنون ..

ـ .. ربما من الأجدى أن أعود بكما إلى الخيمة حتى تعود (لوكا) وترى ما نصنع بكما ، لكنى لا أتهاون فى حقى أبدًا ، هكذا علمنا الأجداد والآباء ..

ورفع رمحه ، ثم وثب نحو (حاب) هاتفًا بكل الحنق والألم :

ـ .. اهلك أيها المصرى اللعين ..

تسمر (حاب) فى وقفته ، وأغلق عينيه منتظرًا النهاية ..

لكن شيئًا ما ارتطم بسمعه ، جعله يفتحهما على اتساعهما ، ويحملق غير مصدق فى رمح الفتى ؛ الذى اخترق سهم منتصفَ قناته الخشبية !

(سات) أيضًا جمدتها المفاجأة فى وقفتها بجواره ، والفتى نفسه توقف ونظر إلى السهم الذى تم تصويبه نحو رمحه بمنتهى الدقة والمهارة ، ثم رفع عينيه إلى أعلى التبة التى تشرف على وقفتهم ..

ورآه ..

(.. بثباته واعتداده ، وعضلاته المفتولة وبشرته السمراء وشعره المجعد .. قوسه فى يده القوية ، وهواء الشرق يلاعب ملابسه ، كأنه بطل أسطورى ..) ..

وكان يصوب نحوه سهمًا آخر ..

ـ من تكون ؟!

صاح بها الفتى ، وأتاه جواب (حورى) بنفس لغته :

ـ ليس هذا هو السؤال المناسب يا صاح .. السؤال هو : ماذا أريد ؟!

ضرب الفتى أخماسًا فى أسداس ولم يجد ما يرد به ، فتابع (حورى) :

ـ .. أول ما أريده هو أن تلقى برمحك هذا على الرمال ..

صاح الفتى فى عناد صبيانى :

ـ ومن أنت حتى أطيعك ؟!

.. واتطلق السهم الثانى ، ليصيب الرمح على بعد طفيف للغاية من يد الفتى القابضة عليه ، فألقاه الفتى فى رعب لا إرادى وهو يصرخ كامرأة رأت فأرًا ..

وعندما نظر إلى أعلى مجددًا ، كان (محب) يصوب نحوه رمحًا جديدًا ، ويقول :

ـ لا تقل إنى لم أحذرك يا هذا ، لكن إن انحنيت للحظة فسيخرق هذا السهم رأسك لا محالة ..

لم يملك الفتى حيال رام كهذا إلا أن يقول صاغرًا :

ـ ليكن .. خبرنى إذن : ماذا تريد ؟!

قفز (حورى) ـ فى لمح البصر ـ قفزة بارعة ، وجده الفتى على إثرها يقف فى مواجهته مباشرة ..

قفزة جعلت عينا (سات) تتألقان بالإعجاب ، وعينا (حاب) تغوصان فى بحور عدم الفهم أكثر ، لكنهما معًا أدركا ـ بالذات (حاب) ـ أن هذا الوافد الجديد جاء لينقذهما من ميتة بشعة ..

ـ سؤالك هذا فى محله ..

قالها (حورى) ، ثم لوى ذراع الفتى ليصبح ظهره إليه متابعًا :

ـ .. أنا أريد هذين ، ولحظك السيئ لاتوجد أمامى عقبة إليهما سواك !

وألقى (حورى) بالفتى ـ الذى يواجه أسوأ لياليه منذ ولدته أمه ـ أرضًا ، ثم أخرج من بين ملابسه قطعة قماش قيد بها يديه ، وقطعة أخرى قيد بها قدميه ، وثالثة على فمه ، ونهض مواجها (سات) ..

ـ عمت مساءً يا أميرة ..

.. و(حاب) ..

ـ وأنت أيها الحارس الشجاع ..

ـ أنت تتحدث المصرية أيضًا ..

غمغم بها (حاب) ذاهلاً ، فى حين قالت (سات) فى ذكاء مستعيدة روحها الطفولية :

ـ لقد أرسلك أبى لإنقاذى .. صحيح ؟!

ـ بلى ..

قالت غامزة إياه :

ـ لقد أجاد الاختيار حقًا ..

تلاشى ذهول (حاب) وقال متنفسًا الصعداء :

ـ لوهلة ظننتها النهاية لا محالة ..

قال (حورى) :

ـ لقد وصلت فى الوقت المناسب تمامًا لحسن الحظ ..

سألته (سات) وعيناها تحملان إليه رسائل مطولة :

ـ لكن .. كيف سنعود ثلاثتنا ولا توجد خيول ؟!

أشار (حورى) إلى حصانه أعلى الربوة ، وقال :

ـ فرسى قوى بما يكفى لحملنا جميعًا ..

رأى (حاب) الحصان الذى اقترب مطلاً من أعلى ، وأراد أن يتذاكى فضيّق عينيه سائلاً :

ـ وما الذى يدرينا أنك مبعوث السيد (مينا) ؟!

قال (حورى) فى استخفاف :

ـ للأسف ليس أمامكما سوى الوثوق بى !

ـ ولماذا يجب أن نثق بك ؟!

زفر (حورى) وقد ضاق به ذرعًا ، وأجابه بلهجة ذات مغزى :

ـ لأنه ليس أمامك خيارات أخرى ..

كف (حاب) عن تذاكيه أخيرًا وقد فهم ما يرمى إليه ، وصفقت (سات) بيدها هاتفة بجذل :

ـ رائع ، هكذا تنجح الخطة !

أما (حورى) ، فقد أرسل بصره نحو المشاعل المتراقصة عبر المدى ، وغمغم مع ارتفاع عواء قطيع الذئاب من جديد :

ـ أتعشم أن يكونا فى مأمن الآن !

★ ★ ★

الغريزة هى التى دفعت (نفرو) للتعلق بذراع (محب) ، والرعب هو الذى شل لسانها وجعل عينيها تبرزان ككرتين ..

قلبُ (محب) هو الذى دفعه نحو النخلة القريبة ، لينتزع منها سعفة بارزة ، وشعوره بالمسئولية هو الذى جعله يتقدم جاعلاً (نفرو) بينه وبين النخلة ، ليقيها بجسده أية مخاطر محتملة ..

ثم إنه لوّح بالسعفة الطويلة لاهثًا فى وجوه القطيع ..

الذئاب الجائعة التى تبرق عيونها الصغيرة وتبرز أنيابها المدببة تحت القمر المكتمل ، واللعاب يسيل من أشداقها التائقة لوجبة شهية ..

أرادت (نفرو) أن تصرخ فى هلع ، لكن حنجرتها أبت أن تستجيب ..

هول الموقف غير المتوقع أحالها إلى جماد ..

ـ ابتعدوا .. ابتعدوا أيها الملاعين ..

واصلت الذئاب اقترابها فى بطء غير آبهة ، حتى أظهر ضوء البدر الشحيح وجوهها المقيتة ، المبتسمة أبدًا فى وحشية ..

وتوقفت فى النهاية ..

أحاط بهما القطيع فى دائرة محكمة لا فكاك منها ، وتقدم أحدها من (محب) ..

أضخم الذئاب وأحدُها أنيابًا وأكثرها شراسة ..

تقدم الذئب مواجهًا (محب) فى بطء شديد ، استفز الأخير لأن يصرخ وكل خلية منه ترتعد فرقًا :

ـ .. أنت زعيمهم ؟! هيا .. ابتعد .. خذ رعيتك وانصرف من هنا ..

كان يصرخ فى إخلاص وكأن الذئب سيفهم ، أو سيمتثل !

ـ (محب) .. حذار ..

همست بها (نفرو) فى وجل وهى تراقب الذئب بعينيها ، فصرخ (محب) أكثر ..

هذى بكلام كثير ، لم يمنع الذئب من التقدم الهوينى ، ولم يمنع الزبد من أن يكسو فاه ..

.. وانقض الذئب عليه فجأة ..

قفز بحركة فجائية لم يستطع (محب) أن يفاديها ، لكن

السعفة فى يده جعلته فى مأمن قليلاً ، فمال الذئب مبتعدًا ؛ فى حين سقط (محب) على ظهره فوق الرمال ..

وقبل أن يقوى (محب) على الاعتدال واقفًا ؛ أو حتى جالسًا ، انقض الذئب عليه مجددًا ، و غرس أنيابه فى لحم بطنه ..

وصرخ (محب) فى ألم رهيب ..

وصرخت (نفرو) صرخة فزع عات لم تشعر بمثله فى حياتها من قبل ..

وعوى قطيع الذئاب المحيط بهما استحسانًا ..

ثم فجأة ..

انطلقت السهام ، وانقلب الموقف ..

أصاب معظمها جسد الذئب الأضخم ، وتفرق الباقى منها على عدد من الذئاب المحيطة ..

دفعت غريزة البقاء باقى الذئاب لأن تلوذ بالفرار ، ولم يتوقف (محب) عن الصراخ ألمًا وهو يجاهد لتخليص جذعه من بين فكى الذئب الميت ، فى حين التفتت (نفرو) للخلف ، ورأت الخيول المقتربة وفوقها حاملو المشاعل والأقواس والسهام ..

كانوا يتضاحكون ، ويتحدثون بلغة (التمحو) :

ـ هل رأيت ؟! لقد أصبت ذئبين بمفردى ..

ـ أنا أيضًا .. لو لم يفر الثالث لكان فى عداد الأموات ..

ـ لو لم أكن أحمل مشعلاً لقتلتهم كلهم ..

ـ مالك أنت والقتال يا عالف الخيول ؟!

ـ عندما يعود الفرسان الأسرى سأرفع طلبًا لكبيرهم (خاتى) بأن يضمنى إليهم ..

لم تستبن أذنا (نفرو) الكثير من العبارات ، فصراخ (محب) كان يمنعها من التركيز ، وكذلك الدماء المتدفقة من بطنه الجريح ..

ـ تماسك ..

قالتها وهى تهرع إلى جوادها ..

ـ .. لدى ما سيشفيك فى الحال ..

واصلت الخيول والمشاعل اقترابها ، ولهث (محب) قائلاً بوجه ممتقع مصفر ، والدماء تنفجر عيونًا من الجرح :

ـ أشـ .. عر .. بـ .. أ .. نها .. الـ .. نـ .. ـها .. ية !

أخرجت من جراب معلق بظهر جوادها قنينة صغيرة ؛ يسبح فى داخلها سائل فيروزى رائق يغرى بالشرب ، واقتربت منه قائلة وهى تكشف مكان الجرح :

ـ لا تقل هذا ومعك أمهر طبيبات الوادى ..

تفصد العرق من مسام وجهه ، وقال فى وهن :

ـ أ .. ر .. يـ .. د .. ك .. أن .. ت .. عـر .. فى .. ش .. يئـ .. ـًا .. قـ .. بـ .. ل .. أن .. أ .. مـ .. و .. ت !

الخيول والمشاعل تقترب ، و(نفرو) نازعة غطاء القنينة :

ـ هذا قد يؤلم قليلاً ..

وكادت عينا (محب) تنغلقان وهو يهمس فى احتضار :

ـ .. (نـ .. فـ .. ر .. و) .. أنـ .. ـا ....

تابعت (نفرو) دون أن تنظر إليه ، وهى تقرب فوهة القنينة من موضع الجرح :

ـ .. لكن مفعوله أكيد ..

وصبت السائل بالفعل على البطن متممة :

ـ .. وسحرى ..

انسكب السائل فوق اللحم والدم ، وتعالى بعدها صراخ (محب) لتهتز معه الآفاق البعيدة والقريبة ..

صمت الجالسون على الخيول المتقدمة منهما وإن سادت بينهم همهمات خفيضة متسائلة ، وتصاعدت الأبخرة من موضع السائل كأنه يكوى مكان الجرح كيًا ، ثم ..

صمت (محب) ، والتأم الجرح على الفور !

ـ ما هذا ؟!

انعقد حاجبا (محب) وهو يرفع رأسه قليلاً :

ـ .. لقد اختفى الألم تمامًا !

مرت (نفرو) بأصابعها على مكان الجرح وهى تقول باسمة :

ـ واختفى الجرح نفسه كذلك ..

اعتدل (محب) جالسًا ، ونظر إلى بطنه فى غير تصديق ..

ـ حقًا ؟!

وسألها منبهرًا :

ـ .. أنت ساحرة .. كيف فعلتها ؟!

سارعت بدفن القنينة إلى جواره فى الرمال ، وقالت هامسة :

ـ (لوتس) مستودع الأسرار يا عزيزى ..

ضحك (محب) وقال :

ـ صدقت يا جميلة ..

وصاح رافعًا عينيه إلى نجوم السماء فى غبطة :

ـ .. أنا العائد إلى الحيااااة !

ـ أنتما مصريان إذن !

التفتا معًا إلى مصدر الصوت النسائى فوق أحد الخيول التى توقفت بجوارهما ، وكانت النيران تشتعل خلف الوجه محيلة إياه إلى صفحة سوداء ..

قالت (نفرو) محدقة فى ظل النقن المستعارة أسفل الوجه :

ـ أجل .. يا سيدى ..

صمتت (لوكا) ، وحملت أحد المشاعل التى يمسكها المحيطون بها ، وقربته من وجهها قائلة ؛ وقد باتت معالم وجهها قليلاً :

ـ إنى امرأة ؛ لو لم يكن صوتى كافيًا ..

التفتا معًا إلى مصدر الصوت النسائى فوق أحد الخيول التى توقفت بجوارهما ، وكانت النيران تشتعل خلف الوجه محيلة إياه إلى صفحة سوداء ..

قالت (نفرو) فى أدب :

ـ معذرة يا سيدتى ..

نادنى بفارسة .. فهى صفتى الحقيقية هاهنا !

نهض (محب) ، كأنما لم يكن هو المحتضر منذ قليل ، وقال منحنيًا :

ـ نشكرك على إنقاذنا من هذا القطيع الوحشى أيتها الفارسة المقدامة ..

سألتهما بعينين تضيقان :

ـ ما الذى جاء بكما إلى هذا المكان القفر .. وفى مثل هذا الوقت ؟!

مط (محب) شفتيه ، وهز كتفيه مجيبًا :

ـ حظنا النحس !

وقالت (نفرو) فى تعقل :

ـ لهذا قصة ياسيـ .. أقصد يافارسة .. نحن من (طيبة) ، تاجران من (طيبة) .. وقد خرجنا إلى هنا لنعقد صفقة مع قاطنى (الواحة الكبيرة) بخيرها الكثير ، لكننا ضللنا طريقنا أول النهار ، ولم تقدنا الأقدام إلى هنا إلا فى هذا الوقت التعس ..

سألتها (لوكا) بعد برهة من الصمت :

ـ هل أصارحك بشيء ؟!

ـ أجل ..

ـ لا تبدو قصة مقنعة !

ـ حقًا ؟!

قالتها (نفرو) حابسة خوفها بين أضلاعها ..

ـ لا تبدوان تاجرين أبدًا .. أعرف تجارًا كثيرين وليس هذه هى سيماهم ..

وعادت (لوكا) تسألها فى لهجة غامضة :

ـ .. هل تعلمان بماذا يوحى منظركما أن تكونا ؟!

ـ ماذا ؟!

قالت وطيف ابتسام واهن يحل على شفتيها :

ـ عاشقان !

تبادلت (نفرو) مع (محب) نظرة مفعمة بالمعانى ، قبل أن يقول الأخير ببسمة صافية :

ـ نظرتك سهم لم يطش أيتها الفارسة !

تظاهرت (نفرو) بالخجل وسددت بصرها نحو قدميها دون أن تنطق ، فتابعت (لوكا) والبسمة ترفرف على وجهها ؛ كسرب حمام :

ـ لقد فررتما تحت أستار الليل وضللتما الطريق ..

أيدها (محب) فى حماسة قائلاً :

ـ بالفعل ، فررنا من (طيبة) ، وكنا نقصد (أبيدوس) ..

سألته (لوكا) وقد حرك المكان الأخير فى صدرها شيئًا :

ـ ولماذا (أبيدوس) ؟!

أجابتها (نفرو) وقد فهمت ما يرمى إليه (محب) :

ـ صباح اليوم عيد (أوزوريس) ، وكنا نبغى الزواج فى هذا اليوم المبارك ..

وأحاط ذراع (محب) خصر (نفرو) وهو يقول :

ـ أجل ، قد يلين هذا قلب والدها قليلاً ، فهو من تابعى (أوزوريس) المخلصين ..

قالت (نفرو) متقمصة دور المحبة على خير ما يرام :

ـ لا أدرى ، ما العيب فى كون حبيبى فتانًا ؟!

قالت (لوكا) هازة رأسها فى تفهم :

ـ هكذا .. أنت فنان إذن ..

قال (محب) بأنفة :

ـ ولى الفخر أن أكون !

ـ لماذا إذن كان صراخك يملأ الأجواء منذ لحظات أيها الملهم ؟!

سؤال صعب ، لكن (محب) أجاب بسرعة وبساطة :

ـ عضنى أحد الذئاب ، لكنه جرح طفيف .. الرعب هو ما دفعنى للصراخ ..

قالت (لوكا) ممعنة النظر فى وقفته :

ـ لا ألمح فى جسمك أى جراح تنزف ..

أمسك (محب) بمؤخرة ظهره ، وقال متظاهرًا بالألم عقب الملامسة :

ـ آه .. ليست كل الأماكن صالحة للظهور !

ـ أرى هذا ..

ثم إنها أعقبت بالقول ، والبسمة الشحيحة ترتسم على محياها من جديد :

ـ .. إننى متعاطفة معكما بشدة أيها العاشقان ..

قالت لها (نفرو) فى امتنان زائف :

ـ إن لك قلبًا طيبًا برغم ملابسك الصارمة يا فارسة ..

ـ سيرافقكما اثنان من رجالى إلى مقربة من (أبيدوس) ، حتى لا تضلا الطريق ثانية ..

قال (محب) فى لباقة :

ـ هذا أكثر مما نستطيع أن نشكرك عليه !

ـ لا عليك ، إنها هدية زواجكما المتواضعة ..

ثم إنها صاحت بلغتها الأم :

ـ .. (يام) .. (ونى) .. ستصحبانهما حتى نهاية الصحراء وبداية (أبيدوس) ..

تقدم الاثنان إلى دائرتى ضوء نارى ، وسألها (يام) مرتعدًا :

ـ الآن يا (لوكا) ؟!

ـ أجل ..

قال (ونى) فى انزعاج بين :

ـ لكن الخطر يحدق بالطريق يا (لوكـا) .. هنـاك الذئـاب والضباع وجنود الصحراء و ....

صاحت فيهما بمنتهى الغيظ :

ـ كونا رجلين ولو لمرة واحدة !

ران الصمت على الجميع ، وحـاول (يـام) أن ينطق بعبـارة باكية مستجدية لكن (ونى) قال قاطعًا عليه الطريق :

ـ سنذهب يا (يام) ..

ـ (ونى) .. ماذا دهاك ؟!

ـ قلت سنذهب ..

وتقدم فوق حصانه من (محـب) و(نفرو) ؛ اللذين تظاهرًا بعدم الفهم لكل مـا يجرى ، وخاطبهمـا بلغتـه المصريـة الركيكة قائلاً :

ـ هيا .. استعدا للرحيل إلى (أبيدوس) ..

تقدم (يام) خلفه على مضض ، فهزت (لوكا) رأسـها وقالت فى رضا :

ـ جيد ..

ثـم إنهـا تحدثت إلـى (نفـرو) و (محـب) بالمصريـة فقالت :

ـ صحبتكما السلامة أيها العاشقان ..

ورفعت يدها بالتحية مواصلة وجوادها يستدير على عقبيه :

ـ .. تهنئاتى لكما بالزواج مقدمًا ..

ولكزت الجواد فـانطلق بهـا مخترقًـا صفوف رجالهـا ، ليعود بها من حيث أتت ..

تابعتها (نفرو) بعينيها حتى غابت ، ثم همست لنفسها :

ـ هذه المرأة عاشقة حتى أذنيها .. أجزم أنها كذلك !

★ ★ ★

النـيران المتأججـة فـى داخلهـا تكفـى لأن توقـد عـددًا لانهائيًا مـن المشاعل ، كتلك المحيطة بهـا مـن كـل صـوب عند مربط الخيل ..

هكذا شـعرت (لوكا) ، فى حين استطرد أحـد رجالهـا ـ الأدق فتياتها الصغار ـ مشيرًا إلى المكان الذى كـان يرقد فيه حارس خيمة الأسيرة مقيدًا :

ـ الواضح أنهما ضرباه على رأسه أمام الخيمة فسقط هناك أولاً ، ثم أرادا الهرب فأتيا إلى هنا لأخذ فرس لكنهما لم يجدًا واحدًا .. آثار الدماء تشير إلى أنه تبعهما وبعدها سقط هنا .. لكن لا أتصور ما الذى يمكن أن يكون قد حدث ..

قال آخر :

ـ الحارس المعتقل أضعف من أن يشل حركته ليقيده وحده ، وفى رأيى أنه أجبن من أن يفعلها .. لا تنسوا أنه كان أعزل يواجه رمحًا !

رفع ثالث الرمح من فوق الأرض قائلاً فى عجب :

ـ الرمح يزيد من تعقيد الأمور .. انظروا للسهمين اللذين يزينا قناته فى موضعين مختلفين !

سأل الأول :

ـ من يمكن أن يكون قد أطلقهما ؟!

قال الثالث فى حيرة :

ـ وما يدريني ؟!

ضاقت بهم فصاحت بكل قوتها :

ـ كفوا عن هذا الهراء .. هل فر الأسيران ؟!

قال فتى برز من خلف الخيام :

ـ بحثنا عنهما فى كل زاوية من المخيم ولم نجد لهما أثرًا ..

سألته لاهثة :

ـ أيقظتم الجميع ؟!

أجابها فى ثبات :

ـ أجل ، لا توجد امرأة داخل خيمتها ..

ـ والأطفال ؟!

ـ والأطفال ..

ركلت (لوكا) الرمال فى حركة هستيرية وهى تصيح كأنها استحالت وحشًا كاسرًا :

ـ تبًا .. ألف تبًا وتبًا !

ووقفت تلهث كلبؤة بعد معركة ، فتجرأ أحد الفتيان ودنا منها قائلا فى تهوين :

ـ اهدئى يا (لوكا) .. علينا ....

صرخت فيه كصاعقة :

ـ لا تقل لى اهدئى .. قل انفعلى .. اشتعلى .. انفجرى شررًا ونارًا ودخانًا ..

قال آخر حاسمًا تردده :

ـ ربما فى الأمر خدعة ..

تلفتت إليه قائلة ووجهها يتخذ سمتًا مرعبًا :

ـ (لوكا) لا تنخدع ..

قال رزين منهم :

ـ ربما أرسل لنا المصريون من ينقذهم ، واستغل هذا المنقذ انشغالنا بالذئاب ..

وقال متردد آخر :

ـ وربما كان للرجل والمرأة ....

وصمت ، فسألته مستحثة :

ـ ماذا عنهما ؟!

قال :

ـ ربما .. أعنى .. فكرت أنه لربما كانا يشكلان جزءًا من الخدعة ..

فكرَتْ للحظة وقد استحال وجهها إلى الجحيم نفسه ، ثم إنها قالت :

ـ نعم ، هذا وارد .. وربما هو خيط يقودنا إلى قلب الحقيقة ..

وخاطبت الواقفين حولها بلهجة قائد حازم :

ـ اذهبوا على الفور خلف (ونى) و(يام) أخبراهما أن يعودا على الفور بالرجل والمرأة إلى هنا ..

ـ (لوكا) .. انظرى !

هتف بها أحدهم وهو يشير إلى مدخل المخيم ، فالتفتت (لوكا) فى لمح البصر لترى ما لم تتصور رؤيته أبدًا ..

فعبر المدى البعيد ، الذى بدأت خيوط الفجر الأولى فى التسلل إليه ، رأت (ونى) و(يام) فوق حصانيهما ، عائدين والقيود تحيط اليدين والقدمين والفم !

ـ كلا .. هذا كثير .. كثير !

غمغمت بها لنفسها فى محاولة بائسة للتماسك ، وهرعت إلى الرجلين وسط رهط من الفتية ، أسرعوا بفك القيود عنهما ..

ـ ماذا حدث ؟! أخبرانى بسرعة ..

قالتها (لوكا) وهى تقبض على ملابسهما وتنزلهما من فوق الحصانين كأنهما لعبتين من الخشب !

ـ رأينا كل شىء يا (لوكا) ..

قالها (يام) وهو يبكى بالفعل ، فى حين قال (ونى) الذى بدا أكثر منه تماسكًا :

ـ .. أجل ، وفهمنا كل شىء أيضًا ..

وأخذ (يام) يلطم خديه مولولاً :

ـ ضعنا يا (لوكا) .. ضعنا !

وقال (ونى) فى أسى عميق :

ـ المأساة أكبر من أن يتصورها عقل ..

وتوجهت (لوكا) إلى (ونى) ملتمسة لدى تماسكه ما يشفى الغليل :

ـ أخبرنى ، (ونى) .. ماذا حدث ؟! لقد رأيتما الأسيرين الفارَيْن .. أليس كذلك ؟!

تنهد (ونى) فى عمق قبل أن يجيبها :

ـ بلى يا (لوكا) رأيناهما .. فارس مصرى أنقذهما من هنا .. والرجل والمرأة متواطئان معه !

كادت وجنتاها أن تنفجرا من فرط الاحمرار والسخونة ..

لقد أخطأت وخُدعت ، عليها أن تعترف أمام نفسها بهذا وأن تواجه خطأها بشجاعة الفرسان الحقيقيين !

ـ كنا نسير فى أمان ، حتى وجدنا من ينقض علينا من الخلف ..

قالها (يام) بصوت محشرج وهو يغالب نهنهاته ، وتابع :

ـ .. كان معه الأسيرة وحارسها ، وكان قويًا جدًا لدرجة أننا لم نصمد أمامه أبدًا .. ضربنا وقيدنا بكل يسر ثم أرسل الخيول بنا إلى هنا ..

ضربت (لوكا) قبضتها فى كفها وهى تقول فى تحد :

ـ كل خطأ قابل للإصلاح ..

قال (ونى) ناظرًا إليها فى جرأة لم تعتدها :

ـ ليست هذه هى المأساة التى نتحدث عنها يا (لوكا) ..

أيقظ قوله كل الهواجس النائمة فى قلبها ، فنظرت إليه فى جزع ، وغمغمت فى جمود :

ـ ماذا تعنى ؟!

قال وجرأته تتزايد :

- لقد أرسلونا برسالة شفهية إليك ..

هز (يام) رأسه بالإيجاب ، وقال منفجرًا بالنحيب مجددًا :

- أجل .. أملوها علينا بلغتنا الأم التى يجيدونها بأفضل مما نجيدها نحن !

سألتهما مأخوذة :

- أى رسالة ؟!

قال (ونى) ولهجته تكتسى بصرامة لم يعهدها فى نفسه من قبل :

- إنهم يقولون : قلوبنا معك .. ليس فى انتحار الزوج نهاية العالم .. يمكن للإنسان دائمًا أن يبدأ من جديد !

فجأة .. غامت الدنيا أمام ناظريها ..

فجأة .. انشقت الأرض تحت أقدامها ..

فجأة .. دار بها الكون فى مداراته الواسعة ..

فجأة .. تحطم كل شىء ..

ضاع كل شىء ..

مات كل شىء ..

(خاتى) ذهب ..

(خاتى) مات ..

(خاتى) لن يعود ..

القلب انكسر ..

والعقل اندثر ..

واليأس حل فى الصدر المحزون :

هل تبكى ؟!

لن تكفى دموع الأرض ..

هل تنهار ؟!

وأين هى الرمال التى تستطيع حملها بكل الشجون التى تحتويها ..

هل تلطم وتولول كباقى النساء ؟!

وهل كان (خاتى) كباقى الرجال حتى تستقبل موته بهذه الطريقة ؟!

كلا ..

كلاً وألف ألف كلاً ..

ران الصمت على الواقفين جميعًا ، ولم يتحرك أحد منهم كأن على رءوسهم الطير الأبابيل ، حتى اجترأ أحدهم على الهمس والذهول :

ـ مات (خاتى) !!!

وتوالت الهمسات المنقوعة فى ماء الدهشة ..

ـ والباقون ؟!

ـ لا نعرف ..

ـ ماتوا ؟!

قتلوهم !

ـ قتلوا (خاتى) ..

ـ وقتلوهم ..

ـ الويل لهم ..

ـ أخذوا خيرة الرجال ..

ـ من لنا بعدهم ؟!

ـ أبى كان بينهم ..

ـ وخالى ..

ـ وعمى ..

ـ وزوج خالتى ..

ـ الويل الويل لهم ..

إنه الثأر الآن ..

ـ لن تهدأ أرواحهم إلا بالثأر ..

ـ كيف نثأر لهم يا (لوكا) ؟!

ـ (لوكا) !

ـ (لوكا) !

تبعتها النداءات ؛ لكنها لم تلتفت لأى منها وهى تركض وتعتلى حصانها دون أن تتفوه بحرف واحد ..

ـ إلى أين يا (لوكا) ؟!

ـ عودى يا (لوكا) وأخبرينا إلى أين ؟!

لكنها لم تعد ..

عدا بها الجواد فى عكس اتجاه الشمس ؛ التى بدأت قمتها فى البزوغ خلف نخيل الواحة .. كانت تقبض على السهم ذى الرأس الذهبية بيمناها ..

وتثبت بيسراها فوق رأسها .. ريشة !

★ ★ ★

عدا بها الجواد فى عكس اتجاه الشمس ؛ التى بدأت قمتها فى البزوغ خلف نخيل الواحة ..

٦ ـ سهم ..

أرسل الصباح الباكر بأنفاسه المشمسة الدافئة على (أبيدوس)، التى لاحت لهم من بعيد ، و خيولهم تسير نحوها فى الطريق الرملى الممتد إليها من (الواحة الكبيرة) ..

المدينة ذات الأسوار العالية ، والمبانى الضخمة السامقة ، والمسلات الشامخة إلى عنان السماء ، والبساتين المخضرة بالزهر والثمر والخير ، ترتدى اليوم أزهى ثيابها ، لتحتفل بـ (أوزوريس) : سيد الخصب والنماء ورمز الحياة الأبدية فى عالم البعث الغربى ..

بوابات الدخول الثلاث مزدحمة عن آخرها بالبشر والدواب وسلال القرابين ، وفدوا من جميع البقاع المصرية فى هذا اليوم بالذات ؛ ليقدموا إلى رب الخير الأبيض البار فروض الولاء ومراسيم الطاعة ، إذ ربما يساعده هذا على ارتفاع نجمه المنير ، مبددًا ظلام الليل الذى يعمل على نشره (ست) : سيد الأراضى البور ورب الشر الأسود المطلق ..

ـ ألم نكن قساة على المرأة بعض الشىء ؟!

قالتها (نفرو) وقد فرض السؤال نفسه على لسانها ، بعد أن أعياها التفكير فيه طوال الطريق ..

ـ ماذا تعنين ؟!

سألها (محب) برغم حدسه للإجابة ، فقالت ما صادف صدق توقعه :

ـ أعنى أن نخبرها عن مصرع زوجها بهذه الطريقة الفجة !

هز (محب) رأسه وقال متفهمًا :

ـ أتفق معك ، لكن .. لم يكن بيدنا سوى أن نفعل !

وقال (حورى) بلهجته التقريرية العملية الجافة :

ـ الحق ما تقول ، فهى خطة موضوعة ليس لنا أن نعدل فيها شيئًا ..

هز (محب) رأسه بقوة أكبر وهو يقول ممتعضًا :

ـ أعلم .. أعلم .. قال الحكماء إن معرفتها بهذا الأمر سيكون من شأنه أن يثبط من همتها فى مطاردتنا حتى هنا ..

قالت (نفرو) فى تعاطف :

ـ لابد أن قلبها قد انفطر حزنًا ..

ـ وربما دفعها هذا الحزن إلى ما يتجاوز توقعات الحكماء ..

قالها (محب) هازًا كتفيه ، ثم إنه التفت إلى (حورى) سائلاً :

ـ .. ما رأيك أنت يا صديقى ؟!

قطب (حورى) للحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لست أدرى ..

غمزه (محب) وقال ضاحكًا :

ـ كأنك تقول إنهم مخطئون !

ـ كل ما أريد قوله أن امرأة كهذه لا يمكن التوقع بما قد تفعله أبدًا ..

ـ أتفق معك !

وتنهدت (نفرو) ، ثم غمغمت وهى تنظر إلى أحدهما نظرة خفية :

ـ نعم .. فهى امرأة تحب !

التفت إليها (محب) بسرعة فأخفت نظرتها ..

ـ ماذا تقولين ؟!

سألها مستفهمًا ، فأجابته على الفور :

ـ لا شيء ..

ثم إنها أدارت رقبتها إلى (سات) الجالسة على الجواد خلفها ، والتى أسندت رأسها على كتف (نفرو) وذهبت فى سبات عميق ..

ـ لم تستيقظ الأميرة بعد !

قالتها (نفرو) مغيرة مسار الحديث الذى لم يستهوها ، فقال (محب) مداريًا كل مشاعره خلف قناع باسم :

ـ لا عليك ، سيوقظها الزحام الكثيف الذى نقبل عليه ..

وأشار إلى الحشود المتراصة أمام البوابات كأنه يوم الحشر متابعًا :

ـ .. انظرى إلى كل هذه الوفود ..

قالت :

ـ (أوزوريس) محبوب المصريين جميعًا ..

ـ برغم أنهم يقيمون الشعائر أحيانًا لتمجيد شخصية وضيعة مثل (ست) !

ـ اتقاءً لشره لاحبًا فيه .. سياسة حكيمة لو أردت رأيى ..

ـ لهذا أمقت السياسة وكل ما يمت إليها بصلة .. تصورى أن يجبرك شيء كالسياسة على التزلف إلى رجل يصورونه فى هيئة كلب !

ـ لا عجب فى كونك فنانًا !

ارتفع ـ لأول مرة ـ صوت (حاب) ؛ الجالس خلف (محب) فوق الجواد ، سائلاً بعد أن نفد صبره على الكتمان :

ـ هل لى أن أسأل سؤالاً واحدًا ؟!

وقبل أن يجيبه أحد واصل :

ـ .. من تكونون ؟!

تبادل ثلاثتهم النظرات ، حتى أجابه (حورى) فى لهجة باترة :

ـ احفظ أسئلتك فى جوفك ياصاح .. فأسئلة كهذه من العسير أن تجد إجابات عليها ..

أغضب السؤال (حاب) فدمدم لنفسه :

ـ لتكونوا ما تكونون ؛ لكنكم تصدعون رأسى بثرثرتكم المتواصلة هذه !

لم يُعره أحد التفاتًا ، مع ارتفاع صوت تثاؤب (سات) ، وفتحها لعينيها ثم قولها فى كسل وإرهاق :

ـ هل وصلنا ؟!

أجابتها (نفرو) باسمة فيما يشبه الأمومة :

ـ أجل يا حبيبتى !

لمحت (سات) المدينة التى دنوا من بواباتها بشدة ؛ فقالت متحسرة :

ـ خسارة .. كانت ليلة رائعة لن تتكرر ..

قال (محب) هازلاً :

ـ لم تكن كذلك بالنسبة لنا جميعًا .. لقد شعرت بأنى قد لقيت مصرعى تحت النخلة بالفعل ..

قالت (سات) موجهة حديثها إلى (حورى) :

ـ أشكرك بشدة على إنقاذى أيها الفارس ..

هتف بها (محب) والجد فى لهجته يخالط الهزل :

ـ تعبنا جميعًا وهو وحده الذى ينال الشكر !!

وقال (حورى) فى اتزان :

ـ لم أقم بغير واجبى ..

ـ لكنك أنقذت حياتى .. ودافعت عنى كما يليق برجل شجاع أن يفعل ..

قالت (نفرو) وكأن الحديث لم يرُق لها :

ـ جميعنا اشترك فى هذه المهمة ، حتى أبوك الذى لم يبرح أسوار (أبيدوس) !

جفلت (سات) ؛ كأنها تذكرت لحظتها فقط أنها عائدة إلى قصر أبيها ، فغمغمت :

ـ أبى .. لابد أنه غاضب منى الآن بشدة ، فقد خالفت أوامره وجعلت (حنوت) تخالفها أيضًا !

وأردفت بعد هنيهة ؛ كأنها تذكرت (حنوت) بدورها لحظتها فقط :

ـ (حنوت) .. ترى ماذا فعل بها أبى الآن ؟! أى عقاب قاس تراه أنزله بها ؟!

قال لها (محب) بلهجة صديق ناصح :

- لا عليك .. قد تغير رؤيته لك سالمة الكثير من الأمور ..

- أتظن هذا ؟!

كانوا قد دنوا من البوابة الكبيرة بشدة ، وبدءوا يدخلون فى التجمهر الغفير أمامها ، فقال لها (محب) وهو يجول بعينيه السعيدتين فى الأنحاء :

- دعك من هذا الآن ، ودعينى أملأ ناظرى بهذا المنظر المبهج .. لم أحضر احتفالاً دينيًا منذ سنين بعيدة ..

وتألقت عيناه إذ غمغم فى نشوة :

- .. لابد أنه سيكون يومًا رائعًا !

ارتطمت العبارة بأذن (حورى) ، فالتفت إليه قائلاً باستنكار :

- ومن قال إننا سنبقى لنشهد اليوم ها هنا ؟!

قال (محب) مستاءً :

- إنه يوم فى العام لا يأتى بالنسبة إلينا إلا مصادفة .. دعنا نأخذه إجازة .. يوم واحد فقط يا رجل .. ألا تتعب من العمل أبدًا ؟!

هز (حورى) رأسه نفيًا وهو يقول فى إصرار :

- لم يصرح لنا أحد بالبقاء !

تنهد (محب) فى يأس ، ثم اكتست نبرته باللامبالاة وهو يقول هازًا منكبيه :

- أنا سأبقى .. إن شئت أنت أن تعود فعد وحدك ..

قال (حورى) معاندًا :

- بل سنعود معًا ..

- أنا لا أتلقى الأوامر منك ..

- سيغضب المعلم الأكبر أيما غضب إن لم نعد معًا ..

- ابق معى إذن ..

- .....

- .....

واندمجوا فى الزحام حتى أصبحوا جزئًا منه ، فتلاشى صوتهما فى الضجيج المحيط ، وأخذت (نفرو) تنقل عينيها الجميلتين بينهما فى اهتمام ..

وحيرة !

ولأن الزحام استمر يشتد والجمع ما برح يتعاظم ، لم ينتبه أحد ـ حتى حراس البوابة المرتبكون ؛ كشأنهم فى كل عام ـ إلى ذلك الجواد الذى انحدر من قمة الطريق الرملى ، عاديًا فى سرعة وقوة ، وفوق صهوته فارسة من (التمحو) ترتدى زى الفرسان ، وتثبت أسفل ذقنها لحية مستعارة ، وعلى ظهرها تستقر كنانة ممتلئة بالسهام ؛ وفوق رأسها ريشة يتلاعب بها الهواء ..

(.. للدلالة على الشرف وسمو المكانة .. » ..

(.. لم يراودها الشك إذن ـ مجرد الشك ـ فى مصرع زوجها ..) ..

(.. وتثبت بيسراها فوق رأسها .. ريشة ..) ..

فارسة أرملة .. تدعى (لوكا) !

لم ينتبه لها أحد وهى تندس بين الجموع ، ولم ينتبه لها أحد وهى تدلف عبر البوابة ..

(.. حتى إنهم يدخلون الأقاليم جميعها ـ بما فيها العاصمة (طيبة) نفسها ـ دون قيود ؛ إلا أن يكونوا بلا ريش يزين رءوسهم !!) ..

لكنه يوم العيد ، والأمن مشغول بعشرات الأمور الأخرى ؛ التى تلهيه عن ملاحظة ريشة صغيرة .. فوق الرأس !

* * *

الطبول تملأ أنحاء المدينة ، والموسيقى تعزف فى كل ركن وزاوية ، وفى السوق الكبير والطرقات الواسعة وأمام ساحة معبد (أوزوريس) الصغير القائم فوق الربوة ؛ هناك أكثر من فريق يؤدى تمثيلية الصراع بين (أوزوريس) و(إيزيس) ، وبين (حورس) و(ست) فى ملابس مسرحية وأقنعة متقنة ، وأداء درامى تكلله الجلالة والفخامة ..

المعبد محاط بأمن كثيف ، لكن الجماهير المتحلقة من حوله ـ من جميع الجهات ـ تزيد أضعافًا مضاعفة عن عدد الحراس من شرطة وجيش ..

وفى غرفة واسعة بالركن الشرقى من المعبد ، احتضنت (حنوت) (سات) فى شوق ؛ حتى كادت ضلوع الأخيرة أن تتحطم ، وانهمرت دموع العجوز وهى تهتف غير مصدقة :

ـ (سات) .. ابنتى الحبيبة .. كلا .. غير معقول .. أنت هنا الآن فى أحضانى .. خفت ألا أراك ثانية يا ابنتى ..

ـ أوحشتنى يا (حنوت) !

وفى حين جاهد (محب) حتى لاتنهمر دموعه ، وفرت عبرة

من مقلة (نفرو) ؛ سارعت بإخفائها .. وقف (حورى) فى ثبات ، ورمق (مينا) ابنته فى نصف تأثر ، ثم قال :

ـ هذا لن يمنعنى من أن أوقع بك درسًا لاينسى يافتاة ..

تملصت (سات) من حضن مربيتها ، ووقفت أمام أبيها فى خشوع قائلة :

ـ آسفة يا أبى ..

قال الأب ؛ دافنًا رغبته فى احتضان ابنته فى أعمق نقطة من قلبه :

ـ وماذا يجدى الأسف لو كان ثمن الخطأ حياة أو موت ؟!

تحشرج صوت (سات) بالبكاء وهى تقول :

ـ لن أفعلها ثانية ..

وفقد الأب قدرته على المقاومة فقال بحنو :

ـ وأنا أصدقك ..

رفعت (سات) ناظريها إليه فوجدته يبتسم ، ودون أن تشعر وجدت نفسها تستلقى فى أحضانه ..

ـ أنتم مصرون على دفعى للبكاء ..

قالها (محب) مشيحًا بوجهه ، وماسحًا قطرة فرت من عينه ، بينما غمر (مينا) رأس ابنته ووجهها بالقبلات ..

ـ لا تتركنى كثيرًا يا أبى .. كثيرًا ما أحتاج إلى وجودك بجوارى ولا أجدك ..

ـ إنه العمل يابنتى .. ماذا عساى أن أفعل ؟!

ـ حاول ألا تهملنى ، ولن أفعل حماقة كهذه مرة أخرى ..

هم (مينا) بقول شىء ما عندما دلف إلى المكان أحد الحراس ..

ـ سيد (مينا) ..

رفع الرجل رأسه إلى القادم فى تساؤل ..

ـ .. وفد (طيبة) الملكى قد وصل ..

ـ حقًا ؟!

ثم إنه نظر نحو ابنته قائلاً بابتسامة عريضة :

ـ .. علىَّ أن أكون فى استقبال الفرعون يا فتاتى ..

ـ لا حاجة بك لأن تفعل هذا .. فهأنذا ..

التقت أنظار الجميع عند قائل العبارة ، الذى دلف إلى الغرفة وسط رهط من حرسه الشداد ، مرتديًا الملابس الملكية اللامعة ، وتاج الإمارة ، وممسكًا بصولجان الحكم الذهبى الملون ..

ـ الأمير (تحتمس) بنفسه ؟!

هتف بها (مينا) ذاهلاً ثم أسرع بالانحناء ..

ـ .. إنه لشرف عظيم أن تشرفنا اليوم بنفسك هاهنا ..

.. واتسعت عينا (محب) ، و(نفرو) ، وحتى (حورى) الذى كان أسرعهم للتماسك ..

ـ هى فرصة عظيمة أضرب بها عصفورين بعين الحجر ..

قال الأمير (تحتمس) ..

ـ .. فأولاً أكسب رضاء العامة الكثر الذين يعشقون (أوزوريس) بحضورى يوم عيده ..

والتفت إلى الفريق الواقف فى إجلال ..

ـ .. وثانيًا أرى هؤلاء الذين لايكفون عن إثارة دهشتى كلما فعلوا شيئًا ..

ـ نحن ؟!

ندت عن (محب) دون أن يعى ، بينما واصل الأمير ناظرًا إليهم فى سعادة :

ـ أجل .. أنتم .. كنت أعلم أننى سوف أقابلكم فى يوم من الأيام ..

انحنى (حورى) أمامه قائلاً فى تعظيم :

ـ هذا مديح مشكورًا يا سمو الأمير ..

قال الأمير (تحتمس) ناظرًا نحوه :

ـ أنت إذن الفارس المقاتل .. قلب الأسد وخفة القط وذكاء العقاب !

انحنت على إثره (نفرو) وقالت :

ـ الشرف لنا بمقابلة سموك وجها لوجه !

ـ وأنت الطبيبة المنفية الحسناء .. جمال العقل وعقل الجمال !

وانحنى (محب) عندما ثاب إلى رشده قائلاً :

ـ هذا أكثر مما كنت أحلم به بالفعل !

ـ وأنت الفنان لاريب .. أصابع من ذهب وروح من نور !

ثم إنه قال بعد أن صمت لحظة :

ـ .. نحن مدينون لكم بالكثير .. فقد أنقذتم البلاد من شرور عديدة كان بعضها كفيلاً بالقضاء عليها تمامًا ..

ـ هذا حق يا مولاى !

رفع الثلاثة رءوسهم مرة واحدة وقد ميزت آذانهم صاحب الصوت ..

ـ قائد (تاوى) ؟!

كان الرجل يقف خلف الأمير (تحتمس) باسمًا يقول :

ـ أجل .. برغم افتقادى للعمل معكم ؛ إلا أنكم قد أبليتم بلاءً حسنًا من دونى كما أرى !

انشرح وجه (محب) وهو يقول :

ـ بل كنا نفتقدك بشدة ، وكأن عماد الفريق كان ينقصنا ..

ـ هذا حق ..

نطق بها (حورى) فى اقتضاب ، بينما قالت (نفرو) فى مرح :

ـ لاتفعلها وتهرب منا المرة القادمة ..

ضحك الأمير (تحتمس) لدعابتها ، وقال :

ـ للأسف سيفعل ، فقد عينته وزيرًا للجنوب خلفًا للسيد (سيتى) الذى يلازم فراش المرض هذه الأيام !

ـ حقًا ؟!

ـ مبارك ، قائد .. أعنى ، وزير (تاوى) ..

ـ أنت تستحقها عن جدارة ..

وفرقع (محب) بإصبعه هاتفًا :

ـ خبر كهذا يستحق احتفالاً ..

ضحك الأمير (تحتمس) مجددًا وهو يقول :

ـ نحن فى قلب الاحتفال فعلاً .. ستقضون معى اليوم هنا فى (أبيدوس) يا جنود (لوتس) الأعزاء ..

والتفت نحو مخرج الغرفة المقابل له قائلاً :

ـ هلموا معى لأحيى العامة المحتشدين فى ساحة المعبد ، من منصة الكهانة الكبرى ..

وفى حين خطا الأمير نحو المخرج وخلفه (تاوى) و(مينا) ، أخرج (محب) لسانه لـ (حورى) فى الخفاء ، كأنه طفل يغيظ صديقه فى اللعب ..

وأخفت كل من (نفرو) و(سات) ضحكتهما ، بينما هز (حورى) رأسه فى حيرة ..

أى كارثة صديقه هذا !

ومضوا جميعًا خلف الأمير (تحتمس) ..

إلى منصة الكهانة الكبرى ..

* * *

رفع الأمير (تحتمس) يده بالتحية فأجابته الجماهير الغفيرة بالصياح المهتاج المرحب ، وتبسم الأمير فى داخله مطمئنًا لما يرى ..

هكذا تمضى خطته لاعتلاء عرش المملكة على خير مايرام !

تململ (محب) فى وقفته بالخلف متمنيًا أن يقضى الوقت بين الناس ، أمام عرض موسيقى أو تمثيلى أو حتى بين المتابعين للمشهد بالأسفل ، بينما امتلأت نفس (حورى) زهوًا وهو يقف خلف ولى عهد المملكة المصرية ، فى أعلى مكان يمكن أن يقف فيه فرد فى مصر الفرعونية كلها .. (نفرو) تابعت فى حياد ، و(تاى) تابع بعينى صقر الأنحاء كلها فى محاولة للاطمئنان على سير الأمور الأمنية ..

لكنه لم ينتبه إلى عمود المعبد الضخم القريب ، لا هو ولا أى من رجال الأمن الذين يتابعون عشرات الآلاف بأعينهم فى نفس الوقت ..

تسلقت (لوكا) العمود فى صبر وأناة ، ولأنه كان مليئًا بالبروز الناتئة ، ولأنه لم يكن شاهق الارتفاع ، ولأنها عندما تصر على شىء تفعله .. فقد نجحت أخيرًا بعد جهد جهيد فى أن تعتلى قمته ..

لهثت لكنها لم تسترح ، سارعت بإخراج قوسها من الكنانة وقبضت فى قوة على سهمها ذى الرأس الذهبية ..

نظرت إلى الأمير (تحتمس) الواقف بين جنوده مستشعرًا كل الأمن وكل الأمان ، وهمست لنفسها بكل البغض :

- ستنال جزاءك أيها الأمير .. وسأنال ثأرى !

(.. وقتها لن تكفنى الصغيرة ثأرًا لك يا (خاتى) ، ولكم يا خيرة رجال (تمحو) .. وقتها سيكون الثمن باهظًا بهظ أرواحكم .. ولن يقل عن دم ملكى أزرق نبيل ..) ..

ورفعت القوس ، مولجة السهم فيه ..

(.. تعويذة تجعله لايخطئ هدفه أبدًا ، والموت السريع

فى الحـال واللحظـة هو نصيب التعس الذى سيصاب به ولو بالصدفة ..) ..

وسددت القوس نحو الأمير (تحتمس) ..

سيطرت بكل حواسها علـى أصابعهـا القابضـة فـوق القوس وطرف السـهم ، واسـتخدمت كـل مهارتهـا فـى التصويب لتجعل الأمير / الهدف فى البؤرة ..

ـ ساعدينى يا روح (خاتى) ..

ـ انتبه يا أمير ..

صاح بها (حورى) ، وكان الوحيد الذى لمـح بطرف عينه شخصًا يصوب السهم من مكان قريب ..

ضاع صوته فى اللغط ، ولـم يلتفت إليـه الأمـير ، وفـى الثانية التالية ميز (حورى) كونها ..

ـ .. (لوكا) ..

هتف بها ملأخوذًا ، ولم يكن هناك وقت ليضيعه فى الانفعال ..

لقد أطلقت (لوكا) سهمها نحو الهدف : منتصف رأس الأمير (تحتمس) ..

ولم يكن أمام (حورى) سوى أن يتصرف ..

لم تكن تفصله سوى خطوات قليلـة عن وقفـة الأمـير ، قطعها بوثبة عالية ، وسقط مع الأمـير أرضًـا أمـام الآلاف التى شـهقت فى ذعر ، وتداخلت الشـهقة الثانية مع الأولى عندما أصاب السهم صدر جندى حراسة مجاورًا ..

ـ تبًا .. لقد أنقذوه !

صـاحت بها (لوكا) فى صوت كالفحيح وأسنانها تكاد تفتت من الغيظ ، ولم تضيع بدورها ثانية أخرى ..

كان الأمير (تحتمس) يعتدل جالسًـا ، وعينـاه تبحثـان عن تاجه رمز قوته وسلطته ، أمـا منقذه (حـورى) فقد نهض واثبًا مـن جديـد ، ورفـع عينيـه كمـا فعل الواقفون جميعًا إلى العمود حيث تقف (لوكا) ..

ورآها الجميع تقفز قفزة خطرة من أعلى العمود ، لتسقط جالسة على ظهر جوادها الذى كان ينتظرها بالأسفل ، والذى انطلقت سيقانه تسابق الريح فور استقرارها على صهوته ..

ـ وراءها يا (حورى) ..

أتـاه الهتـاف مـن (محب) الواقف بالخلف ، ولم يكـذب (حورى) خبرًا ..

بمنتهى السرعة أخذ قوسًا من الجندى الساقط ، وانتزع السهم من صدره ، ثم ركض نحو درجات حجرية مجاورة صاعدة إلى سطح المعبد العلوى ، وعينا الوزير (تاوى) تتابعه برجاء وغمغمة :

ـ نحن نعتمد عليك يا فتى ..

ثم هرع إلى الأمير (تحتمس) يساعده على الوقوف ..

بالأعلى لمح (حورى) جواد (لوكا) وهو يعدو بها وسط الحقول القريبة نحو الصحراء ، وخلفها خيول الشرطة والجيش تحاول فى يأس اللحاق بها ، إذ تفصل بينهما مسافة كبيرة ..

ـ ليكن أيتها البدوية ، صحيح أن المسافة بيننا بعيدة جدًا ..

ووضع السهم الملوث بدم الحارس الصريع فى القوس ، مواصلاً :

ـ .. لكننا سنرى من منا الأمهر فى التصويب ..

و ....

(.. مفتاح الرماية هدوء الأعصاب .. لن تستطيع إصابة هدفك إذا اهتزت عضلة واحدة فى جسدك لأى سبب من الأسباب ..) ..

.. انطلق السهم ..

وبمنتهى الدقة أصاب هدفه ..

لقد سقط الحصان صريعًا بسهم أصاب قلبه ، وسقطت معه الفارسة البائسة التى تحلق حولها الجنود ، وأوقفوها ثم جرّوها جرًا نحو أحصنتهم ..

خفض (حورى) قوسه متابعًا المشهد من بعيد ..

واستطاع أن يرى برغم المسافة الكبيرة عينا (لوكا) ، اللتان نظرتا إليه بكراهية عمياء .. ومقت بلاحدود ..

وتذكر (حورى) أمرًا ..

★ ★ ★

كان صغيرًا عندما قال له المعلم (تحوت) :

ـ المجرم فى عينك ، قد يكون مقاتلاً حرًا فى عين غيرك !

ـ ومن أصدق يا معلم ؟!

ـ لا تصدق أحدًا .. فالحقيقة أن لاحقيقة !

★ ★ ★

كان الأمر أكبر من أن يفهمه وقتها ، لكنه يتذكره الآن وبقوة .. لا يدرى لماذا !

★ ★ ★

٧ـ غـــروب ..

مفترق بين طريقين ، أحدهما صاعد نحو (طيبة) الجنوبية ، والآخر هابط إلى (أون) الشمالية ..

الخيول الثلاثة تقف براكبيها ، والعيون ترسل خطابات وداع غير مقروءة ..

ـ دعنى أسألك سؤالاً قبل أن أذهب ..

تقول (نفرو) ، ويبتسم (محب) فى غبطة قائلاً :

ـ سلينى ما شئت ..

ـ وتعدنى أن تصدقنى ؟!

ـ أعدك ..

تسأل (نفرو) فى فضول أنثوى شهير :

ـ ماذا كنت تريد أن تقول لى فى لحظات احتضارك بين نابى الذئب ؟!

ويحار (محب) ، حتى يقول مشيحًا بيده :

ـ لا شىء يذكر !

ـ كنت تريد أن تقول عبارة تبدأ بـ (أنا) !

ـ ربما كانت (أنا أموت) !

ـ ربما ؟!

ـ أجل .. ربما !

تسأله بلهجة لها مغزى :

ـ نسيت أيضًا ؟!

ـ يبدو أن ذاكرتى ضعيفة للغاية هذه الأيام !

ـ دعواتى لك من جديد بذاكرة قوية !

ثم تقول مداعبة :

ـ .. ربما كان من الأجدى لو تركتك وقتها تموت ، إذ لربما سمعت بقية العبارة !

ـ وربما مت قبل أن أكملها ، من أدراك ؟!

ـ سيظل هناك احتمال بأن أسمعها ..

ـ يا لك من قاسية !

تتعالى ضحكتان صافيتان ، وتشير (نفرو) بحركة من

رأسها نحو (حورى) ؛ الواقف بعيدًا بجوار ضفة النهر فى انتظار صديقه :

ـ ما به يفضل دائمًا أن يكون وحيدًا ؟!

يهز (محب) رأسه ، ويدير حصانه ليواجه الجهة التى تشير إليها قائلاً :

ـ هكذا هو منذ عرفته ..

ـ لكم هو غامض !

تغمغم بها (نفرو) ، ويقول (محب) مؤيدًا :

ـ أتفق معك .. وأظن أنه يخفى خلف قناع غموضه هذا الكثير ..

ـ (محب) ..

يرفع (حورى) عقيرته بالنداء من مكانه ..

ـ .. هل ستأتى أم أعود وحدى ؟!

ـ سآتى يا (حورى) .. كن صبورًا ..

ويلتفت (محب) إلى (نفرو) ، قائلاً وهو يحدق فى عينيها الساحرتين :

ـ أغادرك هذه المرة ولك فى عنقى دين كبير .. لا تقل هذا ..

ـ إنها الحقيقة .. إنى مدين لك بحياتى نفسها .. لولا مهارتك لما كنا نقف معًا الآن هنا ..

تقول (نفرو) مشيرة إلى (حورى) من جديد :

ـ صاحبك أنقذ حياة الفرعون القادم .. لا أظن أن هذا الأخير يدين له بحياته النفيسة ..

يهمس (محب) :

ـ حياتى أقل من أن أقدمها لك ..

يتخضب وجه (نفرو) بالحمرة ، وتقول فى خفر :

ـ أراك على خير فى المرة القادمة ..

يتنهد (محب) ..

ـ نعم .. المرة القادمة ..

ـ إلى اللقاء ..

ـ إلى اللقاء ..

وينفصلان ، كل خيل تذهب فى طريق ..

- لن أنتظرك طويلاً فى المرات القادمة ..

قالها (حورى) فى جفاف ، ولم يرد عليه (محب) فى سيرهما على ضفة النيل ، والشمس على الضفة الأخرى تبكى ، وتحترق فى أتون الغروب ..

فجر المشهد ألف نبع فى أعماق (محب) ، فلم يشعر بنفسه إلا وهو يتنهد ، ويترنم بأغنية ناعمة شهيرة :

(شفتا حبيبتى زهرتا لوتس ..

وذراعاها شجرة عنب ..

عيناها توت أسود ..

وحاجباها فخ ..

وأنا الطائر الهائم فى سمائها ..

يلتقط طعم الشعر الفاحم ..

وينجذب إلى الفخ برغبته ..

دون تردد ..)

★ ★ ★

الرواية القادمة :

(مصرع ملكة)

روايات مصرية للجيب

سلّة الرّوايات

في كل روايَة متعَة دائمَة !!

محمد سليمان عبد المالك

لوتس

أسيرة الرمال

الرمال - وإن كانت ساكنة - لا أمان لها ..
والذئاب - وإن كانت وادعة - لا أمان لها ..
والتمحو - وإن كانوا تجارًا - لا أمان لهم ..
لذا فجنود (لوتس) يواجهون تحديًا رهيبًا
هذه المرة ، في لعبة خطرة ..
لا أمان لها .. !

مطابع سلاح التلميذ

الثمن في مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم